أرسين لوبين

البرنس أرسين لوبين



مغامرات "أرسين لوبين"

• نو الشخصية الفذة في اقتحام عالم الجريمة وكشف مرتكبيها وتقديمهم للعدالة، وصاحب المغامرات المثيرة المعروف لملايين القراء في جميع أنحاء العالم، والذي ذاعت شهرته حتى تفوقت على كل الشخصيات البوليسية التي تصور الجريمة وتحللها وتكشف عن مرتكبيها.

هذا البطل (أرسين لوبين) يتميز بالنبل والشرف والشهامة فهو لا يهدف من مغامراته إلى الثراء وكسب المال أو للثأر والانتقام من خصومه، وإنما يكرس حياته للكشف عن الجريمة وتعقب الجناة وتقديمهم للعدالة.

إنه اللص الشريف الذي يمتلئ قلبه بالحب والخير للناس.

وخاصة البائسين والفقراء حيث كان يخصهم بعطفه وإحسانه ويتبرع بكل ما يحصل عليه من الأثرياء البخلاء واللصوص الجشعين للجمعيات الخيرية ومؤسسات البر والإحسان.

وقد تحدى هذا البطل (أرسين لوبين) رجال الشرطة وكبار المفتشين الخصوصيين في عصره في أوروبا وأمريكا حتى أطلق عليه لقب الرجل ذي الألف وجه وهيئة حيث كان يجيد التنكر ويظهر في شخصيات متعددة.

ثمن النسخة

لبنان	٢٠٠٠ ل	الكويت	٧٥٠ف	مصر	٣ ج	CanadA	5$
سوريا	٧٥ ل	الامارات	١٠ د	المغرب	١٠ د	U.K	1.5
الأردن	١ د	البحرين	١ د	ليبيا	١ د	France	15F.F
العراق	٥٠	قطر	١٠ ر	تونس	١،٥ د	Greece	1200Drs.
السعودية	٦ ر	مسقط	١ د	اليمن	٧٥ ر	CYPRUS	1.5 P.

برنارد الأسطه

يقدم

الروايةالمعرّبة

البرنس أرسين لوبين

(١٨)

رواية بوليسية طريفة بطلها اللص الظريف "أرسين لوبين"

موريس لبلان

الناشر

دار ميوزيك

للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش ٠م٠م٠

ص.ب ٣٧٤ جونيه – لبنان

-١-

جريمة البرج

فتحت " هورتنس دانيل " نافذتها . ونادت بصوت خافت :

- "روسيني" ... اين انت ؟؟

فاجابهاصوت رقيق منبعث من بين الأشجار الضخمة المتعانقة المحيطة بالقصر : - هانذا.

- فانحنت " هورتنس " الى لامام وارسلت بصرها بين الأشجار فرات رجلا قصير القامة . بدينا .... قد استند إلى جذع شجرة ورفع إليها وجها سمينا به لحية شقراء .

- سالها الرجل :

- ماوراءك ؟! فاجابت :

- لقد قام جدل عنيف بيني وبين عمي وزوجته ليلة امس . واصر الاثنان على عدم توقيع الصك الذي وضعه مسجل العقود . والذي يتضمن نزولهما عن البائنة (الدوطة) ، التي تركها لي والدي عند وفاته .

- وهل نسي عمك فضلا عن ذلك انه الذي اختار لك ذلك الزوج الذي بليت به وانه المسؤول عن ..

فقاطعته " هورتنس ":

- مهما يكن من امر فإنه يصر على الرفض .

- وإذن ؟؟

فسالته ضاحكة :

- اما زلت مصمما على اختطافي والهرب بي ؟؟

- إن تصميمي اوطد مما كان قبلا ... وانت تعلمين انني مجنون بك ..

- ولكنني للا سف الشديد لست مجنونة بك .

- انا لا اطالبك بان تجني شغفا بي ... كل ما ارجوه هو ان تحبيني قليلا .

- احبك قليلا ؟! إنك تطلب الكثير .

- اطلب الكثير ؟! إذن لماذا وقع اختيارك علي دون سواي ؟
- ذلك ما قضت به المصادفات البحتة . فإنك جئت في وقت اشعر فيه باشد انواع الملالة والسام ... ولما كنت شغوفة بالمغامرات والمفاجآت فقد فكرت في ان اجازف بالفرار معك .. طمعا في ان اتذوق طعما جديدا للحياة .... خذ ..إليك حقائبي .

والقت إلى "روسيني" بحقيبتين من الجلد فتلقفهما بيديه .
غمغمت قائلة :

- هانذا اترك مصيري بين يديك ... والآن عليك ان تنتظرني بسيارتك عند رصيف (إيف) وسالحق بك بجوادي.
- يا الله .. ولكنني لا استطيع اختطاف جوادك .
- كن مطمئنا.... فالجواد يعرف كيف يعود وحده إلى القصر .
- هذا حسن ... وبهذه المناسبة ..
- ماذا ؟!
- من هو ذلك البرنس " رينين " ... الذي يقيم في القصر منذ ثلاثة ايام . والذي لا يعرف احد حقيقة امره ؟!
- لا اعلم .. فقد قابله عمي في حفلة صيد عند بعض اصحابه. فدعاه إلى زيارتنا وقضاء بقية فصل الصيد في املاكه .
- يخيل إلي انه وقع من نفسك موقعا حسنا .. وانك تجدين لذة في التحدث إليه ومعاشرته فإنك خرجت معه امس في نزهة طويلة .. ولكني أصارحك القول بان هذا الرجل لا يعجبني .. ولا تطمئن إليه نفسي .
- بعد ساعتين نكون قد ابتعدنا عن هذه المنطقة .. ومتى افتضح الأمر ... وعلم البرنس "سيرج رينين " انني هربت معك .. فلاشك ان عاطفته نحوي سيدركها الفتور .

إننا اطلنا الحديث يا صاحبي .. والوقت ضيق ... لايسمح لنا بالتبذير فيه . وظلت في نافذتها ترقب " روسيني " وهو يبتعد بين الأشجار والحقيبتان توشكان ان تقصما ظهره .. وما زالت تشيعه حتى غاب عن بصرها بين الأشجار . وعندئذ اغلقت نافذتها ..

* * *

وفي تلك اللحظة دوى في الفضاء صوت نفير أعقبه في الحال نباح عدد كبير من الكلاب .

ذلك لأنه كان من المقرر في ذلك الصباح افتتاح موسم الصيد والقنص في الغابات المحيطة بقصر (لاماريز) الذي يملكه الكونت (ويلروش) .. وكان الكونت وزوجته الكونتس قد دعوا بهذه المناسبة طائفة من الأصدقاء لقضاء موسم الصيد عندهما كما جرت عادة النبلاء .

سمعت " هورتنس " صوت النفير ونباح الكلاب ، فاشفقت ان تفاجا قبل ان تفر ، واسرعت إلى المرآة فرتبت شعرها وإلى ملابس الركوب فارتدتها . ثم جلست إمام مكتبها . وشرعت تكتب رسالة وداع إلى عمها الكونت " ديلروش " .

ولكن كان عزيزاعليها ان تكتب هذه الرسالة . ولم يسعفها ذهنها بما يجب ان تقوله . واخيرا عدلت عن فكرة الكتابة وقالت تحدث نفسها :

- ساكتب إليه فيما بعد ، حين ينفث غضبه .... و يصفح عن فعلتي التي سوف تصيب كبرياءه في الصميم .

وذهبت تتهادى بقامتها الرشيقة حتى بلغت قاعة الطعام الفسيحة . وهناك وجدت ان عمها وضيوفه قد بكروا في النهوض استعدادا للصيد قبل بزوغ الفجر . وداروا جميعا بالمائدة لتناول طعام الفطور .

ورات " هورتنس "عمها .. وهو رجل كبير الجسم كامثاله من اصحاب الأملاك في الاقاليم .. وبيده كاس مليئة بالشراب وهتفت بعد ان قبلت جبهته :

- ماذا تفعل ياعمي ؟ اتقبل على الشراب قبل مطلع الشمس . فهز الكونت كتفيه وقال:

- الا يخرج الإنسان عن المالوف مرة واحدة في العام ؟ ...

- ولكن الكونتس سوف تناقشك الحساب .

إن الكونتس مصابة بصداع .. ولن تبرح غرفتها هذا الصباح .

ثم استطرد بعد لحظة بلهجة جافة :

- وبعد ... فهذا ليس من شان الكونتس . ولا هو من شانك كذلك ياصغيرتي .

* * *

وفي هذه اللحظة ... اقترب البرنس " رينين " من "هورتنس" . كان البرنس شابا في مقتبل العمر على جانب كبير من الرشاقة والاناقة . ممتقع الوجه قليلا.. ولكن هذا الامتقاع كان يكسب تقاطيعه شيئا من النبل . اما نظراته فكانت تنم عن مزيج من الدعة والقسوة .. وكان يتالق في عينيه بين الفينة والفينة وميض الدهاء والتهكم .

* * *

احنى البرنس قامته امام "هورتنس" وقبل يدها في احترام . وقال لها :

- هل تسمحين لي بان اذكرك بوعدك يا سيدتي العزيزة ؟؟

- وعدي !!

- نعم . فقد تم الاتفاق بيننا على ان نقوم اليوم بالرحلة التي قمنا بها امس... وان نزور ذلك القصر العتيق المغلق الذي اثار امره فضولنا والذي يسميه القوم (قصر هالينجر) .

فاجابت في شيء من الخشونة :

- إنني شديدة الأسف ياسيدي . لأن هذه الرحلة التي تقترحها طويلة وانا متعبة قليلا .. ولذلك ساكتفي بنزهة قصيرة حول القصر ثم اعود . وساد الصمت بينهما لحظة ... ثم ابتسم البرنس " سير رينين " وقال بصوت لا يسمعه سواها :

- انا واثق انك ستبرين بوعدك . وإنني ساكون زميلك في هذه الرحلة ... وذلك افضل .

- افضل بالنسبة إلى من ؟ إليك بالتاكيد . اليس كذلك ؟

- بلى . وبالنسبة إليك ايضا ... انا واثق من ذلك .

فصعدت إلى وجهها حمرة طفيفة واجابت :

- لست افهمك ياسيدي .

- المسالة واضحة لا غموض فيها ولا لبس . فالطريق إلى قصر

"هالينجر" بديع .. والقصر يثير فضولا . ولا توجد نزهة اخرى تجمع بين هاتين الصفتين .

- انت لا تنقصك البراعة في الإغراء ياسيدي .

- ولا الإصرار يا سيدتي .. سانتظرك عند قصر " هالينجر ".

فظهرت على وجهها علامات الضجر والملالة . ولكنها لم تجب .. بل حولت إليه ظهرها وخرجت..

* * *

وكانت قد اصدرت امرها بإعداد جوادها . فوجدت احد الخدم في الخارج ممسكا بالجواد فامتطته وسارت به نحو الغابة التي تترامى وراء الحديقة . كان الجو صحوا جميلا .. والسماء صافية فارتاحت " هورتنس " إلى هذه النزهة في تلك الساعة المبكرة .. ومازالت تجد بجوادها حتى وصلت إلى رصيف (إيف) بعد نصف الساعة تقريبا . وهناك جذبت عنان جوادها .. وارهفت السمع ولكنها لم تسمع اية حركة او صوت .

تساءلت .. ترى اين ذهب "روسيني" ؟

وخطر لهاانه ربما اخفى سيارته بين الاشجار واوقف محركها حتى لا يفطن إليه أحد ..

اجالت الطرف حولها .. ورات مكان السيارة .. فترجلت عن ظهر جوادها .. وبعد تردد قصير.. شدت عنان الجواد إلى إحدى الأشجار في غير عناية بحيث يتسنى للجواد في اية لحظة ان يتخلص وان يعود إلى القصر .

وبعد ئذ استانفت السير على قدميها حتى اقتربت من مكان السيارة وهنا برز لها " روسيني " .. واسرع نحوها وتابط ساعدها وهو يقول :

- اسرعي .. اسرعي .. لقد داخلني القلق من غيابك وخشيت ان تكوني قد عدلت عن رايك .. ياالله . ايمكن هذا ؟؟ إنني لا اكاد اصدق عيني . فابتسمت وقالت :

- يخيل إلي انك سعيد ..

- إنني اسعد مخلوق في هذا العالم يا " هورتنس " .. وسوف

تكونين سعيدة كذلك .. ثقي ان حياتك ستكون بعد الآن حلما ممتعا لا نهاية له .. وإنني ساوفر لك اسباب كل النعمة والرفاهية.

- لا اريد نعمة .. او رفاهية .

- ماذا تريدين إذن ؟!

- السعادة ..

- انا اكفل لك سعادتك .

ووصلا عندئذ إلى حيث كانت السيارة . فادار "روسيني" المحرك .ووثبت "هورتنس" إلى الداخل .. وما هي إلا لحظة حتى كانت السيارة تنهب بهما الأرض نهبا ..

على ان السيارة لم تكد تصل إلى نهاية رصيف (إيف) حتى دوى طلق ناري من الغابة الواقعة على يمين الطريق فاهتزت السيارة .. ومالت إلى الجانب الايسر .. واضطر " روسيني " ان يوقفها في الحال . ووثب إلى الأرض والقى على السيارة نظرة سريعة ثم قال :

- لقد انفجر إطار إحدى العجلات . فصاحت " هورتنس ":

-كلا .. لقد اطلق بعضهم النار على السيارة .

- هذا مستحيل يا عزيزتي ..

وفي هذه اللحظة .. دوى من جوف الغابة طلقان ناريان اخران . فضرب "روسيني" الأرض بقدمه وقال وهو يضع إصبعه في الثقب الذي احدثته الرصاصة :

- هذا صحيح .. ويل للشقي .. إذا وضعت يدي على عنقه ..ولكن ما العمل الآن ؟؟

ووقف بالقرب من السيارة .. وارسل بصره على طول الطريق.. ولكنه لم ير احدا يستطيع ان يلتمس منه المعونة .

قال :

- سنقضي في هذا المكان ساعة على الاقل حتى يتسنى لنا إصلاح هذا العطب .. فما قولك في ذلك ايتهاالعزيزة ؟ فوثبت " هورتنس " من السيارة . واسرعت نحوه وهي تقول :

- ساذهب .

- لماذا !وإلى اين ؟!..

- اريدان اعرف .. لقد اطلق الرصاص على سيارتنا فيجب ان اعرف الفاعل . - بل ارجو ان تبقي معي .. يجب الا نفترق يا هورتنس " ..

- وهل تعتقد انني استطيع الصبر ساعتين او ثلاثاً حتى تفرغ من إصلاح العطب ؟؟

- ولكن ... مشروعنا !! خطتنا ؟

- نستطيع ان نتحدث في هذا غدا .. اماالآن فساعود إلى القصر.واعد حقيبتي ثم ألحق بالضيوف الذين انطلقوا للصيد .. لابد انهم افتقدوك .. وبحثوا عنك .

-"هورتنس " .. انت تعلمين ان الذنب فيما حدث ليس ذنبي وان .. فقاطعته :

- انالا اقول إن الذنب ذنبك .. ولكن الرجل الذي يريد ان يخطف إحدى النساء ويهرب بها إلى حيث لا يراهماأحد .. يجب الا يترك صاحبته على قارعة الطريق بضع ساعات . لا لشيء إلا لانه نسي إعداد عجلة إضافية للطوارئ .

إلى اللقاء يا عزيزي .. وعادت ادراجها في الطريق التي قطعتها السيارة .. وكان من حسن حظها ان وجدت جوادها حيث تركته..فامتطته . وانطلقت به في طريق مقابل لقصر (لاماريز) .

لم يكن عندها شك في ان الذي اطلق الرصاصة على السيارة فعطلها هو البرنس " سيرج رينين ".

غمغمت تقول في غضب :

- إنه هو .. ولا أحد سواه .

واشتد بها الغضب لخذلانها .. حتى تفجرت الدموع من عينيها الساحرتين .. ولو كان البرنس " رينين " امامها في تلك اللحظة لما ترددت في ان تنهال عليه ضربا بسوطها .

كانت ناقمة عليه اشد النقمة .. ليس فقط لهذه الفعلة الاخيرة وإنما كذلك لسلوكه حيالها في الأيام الثلاثة الأخيرة ، فقد كانت تشعر رغم ادبه الجم .. انه يحاول اجتذابها إليه بمزيج من

اللطف والقسوة .ويحاول إخضاعها له بإذلالها .. وتحطيم إرادتها .

* * *

ووصلت " هورتنس " اخيرا إلى الوادي البديع الذي يطلق عليه القوم في تلك المنطقة اسم (سويسرا الصغيرة) ..
ولاح لها في نهاية الوادي ذلك القصر العتيق المعروف باسم قصر "هالينجر"..
لكزت جوادها .. فراح ينهب بها الارض ولم تنقض بضع دقائق حتى اشرفت على سور القصر.. فسارت في محاذاته .. وما ان اجتازت بضعة امتار .. حتى وقع بصرها امام باب القصر على البرنس " سيرج رينين " . وكان واقفا بجانب جواده .. كانه ينتظرها .. فلما ترجلت عن ظهر جوادها .. اقترب منها في الحال وقبعته في يده . واحنى قامته امامها باحترام شديد .. وشرع يشكرها لبرها بوعدها .. وإسراعها لمقابلته في الموعد . ولكنها قاطعته بان صاحت به :
– صبرا يا سيدي .. لي قبل كل شيء كلمة اريد ان اقولها.. لقد وقع منذ وقت قصير حادث لم استطع تفسيره . لقد اطلقت رصاصة على سيارة كنت اتنزه بها .فهل انت الذي اطلقت هذه الرصاصة ؟؟
– نعم
– فظهرت عليها علامات الدهشة الشديدة .
– إذن انت تعترف !!
– إنك طرحت علي سؤالا ياسيدتي . فاجبت عنه .
– ولكن كيف وجدت الجراة على إطلاق الرصاص على السيارة . وباي حق ؟؟ – إنني لاازعم ان لي حقا .. ولكني اديت واجبا .
– اديت واجبا ؟ماذا تعني ؟
– نعم .. إنني لم افعل غير ما حتمه علي الواجب .فقمت بحمايتك من رجل اراد ان يستثمر الحالة النفسية التي تعانينها .. وان ينتهز فرصة الحياة التعسة التي تحيينها ..

فقاطعته بلهجة خشنة :

- سيدي ..إنني أحظر عليك التحدث في هذا .. فإن لي مطلق الحرية في أن افعل ماأريد .. وقد ذهبت مع هذاالرجل بإرادتي ولم أكن .. فقاطعهابدوره قائلا : -سيدتي .. إنني سمعت بطريق المصادفة ذلك الحديث العجيب الذي دار بينك وبين مسيو " روسيني " صباح اليوم .. وادركت في الحال انك لست شديدة الارتياح إلى الفرار مع هذا الرجل . وانا اشعر بان الخطة التي وضعتها وانفذتها لإحباط مشروع "روسيني" تنطوي على شيء كثير من الغلظة . وفساد الذوق .. وانا اعتذر عن ذلك بكل تواضع وخضوع .. ولكني اردت مهما كلفني الامر . ان امنحك فسحة من الوقت لإعادة التفكير . قبل ان تقطعي في مصيرك براي حاسم .

- إنني فكرت في الأمر مليا ياسيدي . ومتى حزمت رايي على امر فإنني لا ارجع قط عما اعتزمت .

- بل إنك ترجعين في بعض الأحيان ياسيدتي .. والدليل على ذلك وجودك هناالآن . فعضت " هورتنس " شفتها .. ولكن هذا الحديث كان قد خفف من حدتها . وحدة غضبها .. فراحت تنظر إلى "رنين" وفي عينيها تلك الدهشة التي يشعر بها الإنسان حين يجد نفسه امام اشخاص غير عاديين . قادرين على اكثر مما يستطيع الغير . فعالين للخير .. لا يصدرون فيما يبرمون عن انانية او منفعة شخصية .

اعترفت في الحال بينها وبين نفسها بانه لم يصدر فيما فعل إلا عن حسن نية وإلا – كما قال – قياما بواجب الرجل الشهم الكريم حيال المراة التي توشك ان تتعثر . قال لها في لطف و هدوء :

- إنني لا اعرف عنك إلا القليل جدا يا سيدتي . ولكن هذا القليل فيه الكفاية لأن يحملني على الاهتمام بامرك .إنني اعرف عنك يا سيدتي انك الآن في السادسة والعشرين من عمرك . وانك فقدت أبويك وانت في سن الطفولة .. وانك اقترنت منذ سبعة أعوام باحد اقرباء الكونتس " ديلروش " امراة عمك .. ولكن زوجك كان شابا غريب الأطوار ضعيف القوى العقلية .. مما دعا أخيرا إلى

وضعه في أحد مستشفيات الأمراض النفسية . و بذلك استحال عليك الحصول على الطلاق . ولما كان عمك قد بدد (الدوطة) البائنة التي تركها لك أبوك فإنك اضطررت إلى أن تعيشي مع عمك وزوجته .غير ان الحياة في قصر (لاماريز) كئيبة حزينة .تدخل السام والملالة على نفس صبية مثلك ممتلئة فتوة ورغبة في أن ترى وتسمع.وتتحرك . وزاد الطين بلة ان عمك الكونت وزوجته في شقاق دائم . واعرف كذلك من امر عمك هذا ،. ان زوجته الأولى هجرته .. وفرت مع عشيقها .. وكان هذا العشيق هو الزوج الأول للكونتس . وقد جمعت النكبة المشتركة بين عمك الذي هجرته زوجته والكونتس التي هجرها زوجها . وتوهم الاثنان انهما يستطيعان ان يحيلا شقاءهما سعادة إذا تزوجا . وقد تم الزواج بينهما فعلا . ولكنهما لم ينالا في الحياة الزوجية السعادة التي يبتغيانها . وكانت النتيجة ان سادالقصر جو حزين كئيب . مضطرب . ليس من شانه ان يرضي حسناء عصرية مثلك فاصبحت تتوقين إلى اي تغيير ولو من سيئ إلى اسوأ وفي احد الأيام قابلك "روسيني". وشغف بك . وعرض عليك ان تهربي معه .. وانت لا تحبينه.. ولكنك تشعرين بان شبابك يوشك أن يذهب هباء . وأنت فضلا عن ذلك شغوفة بالمفاجات. وتريدين حياة حافلة .. نشطة .صفوة القول .. انك قبلت اخر الأمر ان تهربي معه ولكنك كنت تضمرين له الغدر .. وفي نيتك الا تنيليه منك منالا . وان تفلتي من قبضته في اول فرصة . وكان لك من وراء هذه الخطة غرض آخر هو أن تحدثي بفرارك فضيحة تزعج عمك .وترغمه على النزول على إرادتك فيرد إليك ماأكل من أموالك ، ويوقف عليك مرتبا شهريا يمكنك من أن تعيشي مستقلة عنه . هذا كل ما اعرفه عنك ياسيدتي العزيزة ، والآن امامك أن تختاري بين ان تضعي نفسك بين يدي مسيو "روسيني".وبين أن تعهدي إلي بامرك .

* * *

سمعت " هورتنس " هذا الحديث الواضح الجلي دون ان تنطق بكلمة واحدة ، فلما فرغ البرنس "رينين " من كلامه ، رفعت إليه

عينيها والقت عليه نظرة تساؤل . ترى ماذا يريد هذا الرجل ؟
ولماذا يطلب إليها بتلك اللهجة الجريئة الرزينة ان تعهد إليه بامرها وتتخذه حاميا لها ونصيرا ؟! هل طلب إليها ذلك بدافع من الرغبة البحتة في فعل الخير ؟

* * *

ترك لها البرنس " رينين " ان تفكر . وعمد إلى الجوادين فشد عنان احدهما إلى عنان الآخر . ثم وقف امام باب القصر وراح يتامله عن كثب . كان الباب مصنوعا من الخشب السميك المتين وقد سمر جانباه بقطعة من الخشب على شكل صليب والصق تحت هذا الصليب منشور انتخابي يرجع عهده إلى عشرين سنة مضت . وكان وجود هذا المنشور على حاله دون ان يناله اي تمزيق . دليلا على ان احدا لم يفتح باب القصر منذ الصق هذا المنشور - اي منذ عشرين سنة على الاقل .

اخرج البرنس " رينين" من جيبه خنجرا مزق به المنشورالانتخابي وكشف بذلك عن قفل الباب .

ثم اخذ من جيبه اداة اخرى . انتزع بهاالصليب الخشبي الذي سمر على شطري الباب . وشرع بعد ذلك يعالج القفل بمهارة ولباقة. وما هي إلا دقيقة واحدة حتى فتح باب القصر .. وراى "رينين" وصاحبته امامهما ارضا فسيحة جدباء ينهض وراءها قصر عتيق ذو اربعة ابراج . تحول " رينين" إلى "هورتنس " وقال لها :

- ليس هناك ما يدعو إلى العجلة . وسيكون في وسعك في مساء اليوم ان تحزمي امرك . وتتخذي قرارك . وإذا حاول مسيو "روسيني " مرة اخرى ان يقنعك ووفق في ذلك ، فإنني اقسم بشرفي الا اقف في طريقك بعد ذلك ابدا . اما الآن .. فإنك معي .. وارجو أن تلقي إلي بالك .. وان ننفذ ما اتفقنا عليه امس . كما لو لم يكن قد حدث شيء .

إننا قررنا امس ان نزور هذا القصر. فهلمي بنا نزوره . ففي مثل هذه الزيارة تسلية وترفيه وقطع للوقت .. وانا واثق ان الملالة لن تجد سبيلهاإلى نفسك . كان يتكلم بلهجة تحمل على الطاعة ،

وكان اسلوبه وصوته يجمعان بين الأمر والرجاء فلم تحاول "هورتنس" رفضا . وشعرت برغبة غامضة في مرافقة هذا الرجل الغامض إلى حيث يريد الذهاب بها . دخل القصر فتبعته دون أن تنطق بكلمة ، وصعدت معه سلما حجريا متهدما وقابلهما باب موصد كذلك بقطعة من الخشب على شكل صليب ، فنزعها البرنس "رينين" وفتح الباب بالطريقة التي فتح بها باب السور الخارجي ودخل وتبعته "هورتنس" ، فوجدا نفسيهما في صالة فسيحة . بهابعض قطع من الأثاث قد تراكم عليها الغبار وخيم فوقها العنكبوت .

وسار البرنس "رينين" إلى ستار من القطيفة الزرقاء . قد نقش عليه شعار يمثل نسرا قابعا فوق صخرة قال "رينين" : هذا بغير شك شعار الأسرة التي تملك هذا القصر . وحرك الستار فوجد خلفه بابا .

قال :

- لا بد ان هذا باب غرفة الاستقبال . وقد وجد "رينين" شيئا من الصعوبة في فتح هذا الباب بالطريقة التي اتبعها مع البابين السابقين . واضطر اخرالأمر إلى ان يلجاإلى قوته الجسمية .. فاسند كتفيه إلى الباب ودفعه دفعة قوية ففتح في الحال.

ولم تكن "هورتنس" حتى هذه اللحظة قد نطقت بكلمة واحدة ولكنها راحت ترقب زميلها في فضول شديد .. ولم تتمالك نفسها من الشعور بالدهشة للمهارة العظيمة التي كان يمارس بها فتح الأبواب . وقد ادرك "رينين" شعورها ، فقال .

- ليس اسهل علي من معالجة الاقفال . فقد كنت في حداثتي شغوفا بهذه الصناعة الدقيقة ، ولكنها امسكت بساعده فجاة وغمغمت :

- الا تسمع !!

- ماذا ؟ ؟

وارهف اذنيه وما لبث ان قال :

هذا في الحق غريب .

فهتفت "هورتنس" وهي في اشد حالات الدهشة والذهول :

– اصغ ..اصغ.. اليس هذا عجيبا ؟

والواقع .. انهماسمعا صوتا منبعثا من مكان قريب .وكان الصوت منتظما ، فادركا في الحال انه صوت ساعة دقاقة .

ادهشهما ان يسمعافي ذلك السكون الشامل هذا الصوت الوحيد الذي بقي حيا في ذلك القصر المهجور .

ولكن باية معجزة ظلت هذه الساعة تتحرك طيلة هذه الاعوام؟

غمغمت " هورتنس " وفي صوتها رنة جزع وذعر :

– هل هذا ممكن ؟ كيف تواصل الساعة عملها وجميع الشواهد تدل على ان احدا لم يدخل القصر منذ عشرين سنة .

– نعم .. كيف تواصل الساعة عملها ؟؟

– إذن ؟!

فلم يجب البرنس" سيرج رينين" ، بل عمد إلى النوافذ الثلاث ففتحها ، وسمح للضوء والهواء بان ينفذا إلى الغرفة .كانت الغرفة حقا هي غرفة الاستقبال ، وكل شيء فيها في موضعه. وليس ثمة اي اثرلاضطراب او فوضى في الاثاث كان اصحاب القصر قد تركوه فجاة دون ان يحرك احدهم شيئا من موضعه . بل ولم تنقل الكتب التي كانوا يقرءونها في قاعة الاستقبال من اماكنها .

اقبل البرنس " رينين" على الساعة العتيقة يفحصها . ففتح دولابها الخشبي الصغير . ورأى البندول يتحرك .. قال :

– هذا عجيب فهذه الساعة من النوع الذي يعمل باستمرار مدة اسبوع قبل ان يملأ زنبركها فكيف حد ث انها ظلت تعمل عشرين سنة . وقلب حاجبيه في دهشة حقيقية ولكنه لم يقنط من معرفة السر . وفجاة . لاحظ لاول مرة وجود شيء في قاع صندوق البندول . فتناوله وفحصه . وازدادت دهشته . قال :

– هذا منظار مكبر .. فلماذا جيء به هنا ؟ ! . ثم إن حالته تدل على ان شخصا اعده ليرى به شيئا معينا .. ثم قذف به إلى جوف هذا الصندوق دون ان يعيده إلى حالته الطبيعية .. اي دون

ان يغير طول انبوبتي المنظار . وفي هذه اللحظة دقت الساعة خمس دقات .. فتبادل "رينين" وهورتنس" نظرة عجب ودهشة . ولم يجد البرنس "رينين" في الحال ما يميط اللثام عن سر هذه الساعة العجيبة ولكنه لم يقنط . ولم يستول عليه الياس وقصد لتوه إلى باب في احد اركان الغرفة فنفذ منه .. ووجد نفسه في قاعة صغيرة .. تدل جميع الشواهد على ان اهل الدار جعلوا منها غرفة للتدخين . فقد راى بقايا لفافات التبغ في صفحات معدنية علاها الصدا .على ان ما لفت نظره اكثر من اي شيء اخر . وجود صندوق من النوع الذي يستعمل في حمل البنادق . موضوعا فوق طاولة في غرفة التدخين . وكان هذا الصندوق خاليا من بندقيته. وراى " رينين" على الجدار تقويما قد نزعت اوراقه حتى يوم ٥ سبتمبر . وكانت " هورتنس" قد تبعته إلى غرفة التدخين . فلم يكد يقع بصرها على هذا التاريخ حتى هتفت في دهشة :

– ما اعجب هذا ! نحن اليوم في ٥ سبتمبر وقد نزع أصحاب هذا القصر اوراق التقويم حتي يوم ٥ سبتمبر ..اي منذ عشرين سنة بالضبط .فغمغم " رينين " : – نعم .. هذا عجيب . ومعناه ان اصحاب هذا القصر قد اقاموا فيه حتى يوم ٥ سبتمبر منذ عشرين سنة تماما . ثم هجروه فجاة ولم يعد احدهم إليه .

– اعترف معي ان هذه المصادفات جميعا لا تخلو من الغرابة .

– هذا صحيح . ومع ذلك ..

– ماذا ؟ هل خطر لك خاطر ؟ ! فاجاب بعد تفكير قليل :

– إن ما يدهشني اكثر من سواه هو وجود هذا المنظار المكبر في صندوق الساعة .. بحالة تدل على انه اخفي في الصندوق في اللحظة الأخيرة

ولكن فيم كان يستخدم هذا المنظار ؟ إن الإنسان لا يرى من خلال هذه النوافذ سوى اشجار الحديقة وجدار السور الذي يحيط بها .

والإنسان لكي يستخدم هذا المنظار يتعين عليه أن يصعد إلى

ارتفاع عظيم . فهل ثمة ما يمنعك من الصعود معي إلى برج القصر؟

لم تتردد " هورتنس " . فقد اثارت فضولها تلك الملاحظات التي ابداها البرنس " رينين" وشعرت برغبة شديدة في التغلغل معه إلى اعماق السرالذي يحيط بهذا القصرالعتيق . فتبعته دون تردد . وصعد الاثنان السلم الاساسي حتى إذا بلغا الطابق الثاني . قصدا السلم الحلزوني الموصل إلى قمة البرج . صعدا ذلك السلم على مهل حتى بلغا نهايته . وانتهيا إلى شبه (كشك) علوي صغير ذي جدار يبلغ ارتفاعه مترين .

نظرت "هورتنس" إلى البرنس" رينين" في خبث وقالت :

- هانتذا ترى انه لم يكن في الاستطاعة استخدام المنظار المكبر من هنا كذلك فجدار هذا (الكشك) اعلى من قامة الإنسان والمنظار المكبر يمكن ان يكون قد استخدم للإشراف من هذا البرج على المنطقة المجاورة :

اجاب البرنس "رينين" :

- إنني ارى غيرهذا الراي واعتقد انه لابد من وجود منفذ من هنا إلى الخلاء. وراى فجاة على جدار البرج من الداخل قطعة من الحديد اشبه بمطرقة الباب .. فمد إليها يده وحركها . فتحركت وكشفت عن ثقب . فهتف البرنس "رينين" وفي عينيه نظرة فوز وظفر :

- انظري .. من هذا الثقب يستطيع الإنسان ان يطل منه على المنطقة المجاورة. ووضع المنظار في الثقب فلم يسع "هورتنس" إلا الاعتراف بان ذلك الثقب قد صنع خصيصا لهذا المنظار والواقع ان الثقب كان يتسع تماما للمنظار بحيث لم يكن في الإمكان تحريك المنظار يمينا او شمالا .

وارسل البرنس "رينين" بصره من خلال المنظار دون ان يحرك مداه او يغير من طول انبوبتيه .. وراح يفحص المنطقة المحيطة بالقصر.فراى الادغال والاشجارالمحيطة بالقصر على مرمى البصر . وراى لاول مرة بقايابرج عتيق لقصر تخرب منذ عشرات الاعوام وكان هذا البرج يقع على بعد سبعمائة متر تقريبا من المكان الذي وقف فيه "رينين" وصاحبته .

كان يحدث نفسه وهو يفحص محوطات القصر بقوله :
- ترى ماذا كان يتامل صاحب هذا المنظار ؟؟ إنني لا أرى سوى الأشجارالباسقة المتعانقة .. وغير الحقول المنبسطة وهذا البرج الخرب .. إن هذا البرج هو في الواقع الشيء الوحيد الذي يلفت النظر . وسدد طرف المنظار نحو بقايا البرج . وامعن النظر بدقة وظل دقيقة او دقيقتين ساكنا صامتا جامد الحركة ثم نهض اخيرا واقفا . وغمغم :
- هذا مخيف . هذا في الحق مخيف . فسالته في قلق :
ماذا ؟ !
- انظري .
واعاد المنظارإلى الثقب . فركعت " هورتنس" على ركبتيها واطلت منه على البرج العتيق . ولكنها لم تره في وضوح وجلاء واضطر البرنس :" رينين" إلى ان يغير مدى المنظار ، ويطيل انبوبته لكي تتمكن من رؤية المنظر الذي وصفه بانه مخيف وما لبثت " هورتنس " ان رات شيئا رابها فغمغمت :
- إنني ارى ثوبين . فهتف بها :
- بل انظري بإمعان .تاملي القبعتين والوجهين اللذين تحتهما .
فامعنت "هورتنس" النظر . وتبينت ما ارادها "رينين"ان تتبينه وسرت في جسمها رعدة شديدة .
هتفت :
- ياالله .. هذا مزعج . هذا مخيف . تبينت بواسطة المنظار مخلوقين احدهما يرتدي ثياب الرجال والآخر يرتدي ثياب النساء وقد انكفا على وجهيهما فوق الصخور .
قالت في جزع :
- إنهما هيكلان عظميان .. هيكلان عظميان يرتديان ثياب الرجال والنساء . ولكن ترى من الذي نقلهما إلى هذا البرج ؟؟
- لا احد
- إذن كيف ..
فقاطعها بقوله

- إن هذا الرجل وهذه المرأة قد ماتا منذ سنوات في اثناء وجودهما في البرج ، وظلا في مكانهما حتى اكلت الغربان لحومهما . ولم يفتضح امر هاتين الجثتين لسبب ما ، كان تكون زيارة هذا البرج محظورة على غير اصحابه .. او يكون درج السلم المؤدي إلى البرج قد تهدم . فهتفت " هورتنس " وهي ممتقعة الوجه مرتجفة الاوصال :

- ولكن هذا مخيف .. هذا مخيف .

* * *

وبعد نصف الساعة -تقريبا . برحت "هورتنس دانيل " و سيرج رينين " قصر (هالينجر) وقصدا لتوهما إلى حيث يوجد البرج الذي اكتشفا فيه الهيكلين العظميين ..فالفياه اطلالا .. ووجدا ان من الخطر محاولة الصعود إليه .. وقد ادهش " هورتنس " ان "رينين" لم يتحدث بعد ئذ عن هذين الهيكلين كما لو كان امرهما لايهمه ولايعنيه .

وعندما دلفا إلى احد المطاعم في الطريق لتناول الطعام . لم يحاول " رينين" كذلك أن يسال صاحب المطعم عن ذلك القصر وعن سر إهماله وإغلاقه . اما "هورتنس " فإنها لم تستطع ضبط شعورها والتغلب على فضولها . فراحت تلقي على صاحب المطعم عشرات الاسئلة ولكن الرجل اكد لها انه انشا المطعم في تلك البقعة حديثا ، وانه لا يعرف اسم صاحب القصر والاملاك المحيطة به .. ولا يعرف شيئا عن اسباب إغلاق القصر وإهماله .

* * *

وعاد الاثنان إلى قصر (لاماريز) ". وظلت هورتنس " طول الوقت تتذكر ذلك المنظر البشع المخيف الذي شهداه في البرج وتلقي على "رينين" السؤال تلو السؤال ولكنه لم يجبها بما يشبع فضولها فتملكها الضجر .

وصاحت :

- الا تنوي التفكير في الامر .. لابد من الوصول إلى ...

فاجابها :

- نعم لابد من الوصول إلى حل فيما يختص بمسيو "روسيني".

فهزت كتفيها وقالت :

- بل إنني يهمني امر الهيكلين العظميين اكثر مما يهمني امر "روسيني" .

- و" روسيني" " ؟

- إنه يستطيع الانتظار .. اما انا فلا استطيع .

- على رسلك إذن .. وبعد فمن المحتمل الا يكون " روسيني" قد فرغ حتى الساعة من إصلاح إطار سيارته .

ولكن ماذا في نيتك ان تقولي له متى تقابلتما ؟ ذلك هو المهم.

- بل هناك ما هو اهم من ذلك . هناك الهيكلان العظميان اللذان اكتشفنا هما اليوم .. هناك السر الغامض الذي يكتنف هذين الهيكلين فماذا في نيتك انت ان تفعل ؟

- ماذا في نيتي ؟ !

- نعم هل تنوي إخطار ذوي الشان بامر الجثتين؟

فاغرق " رينين" في الضحك وصاح :

- ولماذا ؟!

- لكي يضطلعوا بحل هذا اللغز المعقد . فربما كشفوا عن جريمة او ماساة . - نحن لسنا في حاجة إلى معونة احد لإماطة اللثام عن سر الجثتين .

- ماذا تقول ؟ ؟ هل فهمت شيئا ؟

- بل فهمت كل شيء ، كما لوكنت قد قرات قصة طريفة مزينة بالصور .

فرمقته من ركن عينها كانها تشعر بانه يهزا بها ، لكنها لاحظت من تقاطيع وجهه انه جاد فيما يقول :

هتفت في فضول :

- وإذن ؟

وكانا وقتئذ قد اشرفا على قصر (لاماريز) فقال البرنس "رينين" :

- لم يبق إلا ان نقوم ببعض التحريات ، وان نسال بعض الذين يعرفون هذا الإقليم حق المعرفة . فهل تعرفين شخصا نستطيع الاطمئنان إلى معلوماته؟!

- ولماذا لا نسال عمي ، إنه لم يبرح هذا الإقليم منذ نعومة اظفاره .

- هذا صحيح . . ساستفسر من الكونت " ديلروش " وسترين كيف تتبلج الحقيقة وترتبط الحوادث والمشاهدات .

* * *

وقد افترقا عند القصر فقصدت "هورتنس " إلى غرفتها وهناك وجدت حقيبتها ورسالة غاضبة من " روسيني" يودعها فيها ويعلنها برحيله .

قرات الرسالة وهزت كتفيها وغمغمت :

- لقد احسن صنعا.

وتناست مغامرتها معه . وفرارها برفقته واصبحت لا تنكر إلا ان البرنس "رينين" تلك الرجل الغامض الغريب الأطوار قد اوقفها على حافة لغز معقد .. وتركها نهبة فضول لن يقر لها قرار حتى تشبعه .

* * *

لحق بها "رينين" في غرفتها بعد قليل وقال لها :

- إن عمك في مكتبه .. فهل تذهبين معي إليه ؟! إنني اخطرته بقدومي فنهضت لساعتها .. وانطلقت في رفقته . قال لها وهما يسيران جنبا إلى جنب:

- لي كلمة اريد ان اقولها .. عندما افسدت عليك مشروع الهروب في صباح اليوم قطعت على نفسي حيالك عهدا وسترين بعد لحظة انني وفي بالعهد . - إنك لم تعدني باكثر من شيء واحد .. هو أن تشبع فضولي إلى المغامرات والمفاجات .

- سيكون لك كل ما تريدين .

* * *

وجدا الكونت " ديلروش" وحيدا في غرفته وامامه زجاجة من

الشراب . وقد ملا كاسا قدمها إلى البرنس " رينين" فاعتذر هذا عن قبولها . قال الكونت محدثا " هورتنس ":

- وانت يا " هورتنس "الا تتناولين كاسا من هذا الشراب ؟ إنك تعلمين انني لا اسرف في الشراب إلا في الأيام الأولى من شهر سبتمبر .. وإلا في هذا اليوم بصفة خاصة . بمناسبة افتتاح موسم الصيد والقنص .. ولكن حدثيني .. هل كانت نزهتك مع البرنس " رينين " ممتعة ؟! فقال " رينين " :

- إننا جئنا الآن بصدد امر يتصل بهذه النزهة ونود ان نحدثك فيه .

- ارجو المعذرة .. لانني مضطر إلى الذهاب إلى المحطة بعد عشر دقائق لاستقبال إحدى صديقات زوجتي .

- عشر دقائق فيها الكفاية واكثر من الكفاية .

- إذا كان ذلك فلامانع .

واشعل لفافة تبغ واستطرد :

- حسنا تحدث بما تريد . فقال البرنس " رينين" وهو يشعل بدوره لفافة تبغ : - لقد ساقتنا المصادفات اليوم إلى قصر لاشك انك تعرفه حق المعرفة .. واعني به قصر " هالينجر " .

نعم - إني اعرف هذا القصر . ولكنه مغلق منذ ربع قرن على ما اذكر

ومما لا شك فيه انكما لم تستطيعا دخوله .

- بل استطعنا ..

- إذا صح ذلك فلابد ان الزيارة كانت مسلية .

- كانت مسلية جدا .. وقد وقفنا على اشياء غريبة . فسال الكونت وهو ينظر إلى ساعته :

- اشياء غريبة ؟ ماذا تعني ؟

وهنا راح البرنس "رينين" يسرد عليه تفاصيل الزيارة . فقال:

- إننا دخلنا القصر ونفذنا إلى غرفة استقبال لولا نسيج العنكبوت لظننا ان اصحابها تركوها في التو واللحظة . وما كدنا ندخل هذه الغرفة حتى دقت ساعة بالجدار خمس دقات ..

فقاطعه الكونت :

- إنك تسهب في ذكر التفاصيل .

- إنك لم تقف بعد على كل شيء يا سيدي الكونت ..

فإننا بعد ان تركنا غرفة الاستقبال قصدنا في التو إلى برج القصر ومن هناك راينا جثتين .اوعلى الاصح . راينا هيكلين عظميين في برج متهدم يقع ضمن حدود القصر . وقد عرفنا من الثياب التي كان صاحبا الهيكلين يرتديانها عندما قتلا ان احد هما رجل والآخر امراة .

فهتف الكونت :

- قتلا ؟!! وماذا يحملك على الاعتقاد بانهما قتلا !؟ مجرد الظن.. اليس كذلك !؟

- بل انا واثق انهما قتلا ولهذا جئت اسالك عن تفاصيل هذه المأساة التي ارجح انها اشتهرت في عهد حدوثها ..اي منذ عشرين سنة تقريبا .

فهتف الكونت :

- انا لم اسمع قط عن جريمة قتل او حادث اختفاء يجوز ان تكون له صلة بالمأساة التي تذكرها . فقال "رينين" بلهجة الشخص الذي يشعر بخيبة الأمل :

- واأسفاه .. كنت ارجو ان اقف منك على شيء من التفصيلات .

- في هذه الحالة ارجو المعذرة .. سانطلق الآن إلى المحطة لاستقبال صديقة زوجتي .

والقى على " هورتنس " نظرة فاحصة . ثم قصد إلى الباب . لكنه توقف في الحال حين سمع صوت "رينين" وهو يقول له :

- اليس في استطاعتك يا سيدي ان تدلني على شخص من اسرتكم يستطيع إمدادي بالمزيد من المعلومات والإيضاحات ؟

- شخص من اسرتي !! لماذا ؟

- لان قصر (هالينجر) كان في ذلك العهد ملكا لاسرة(ديلروش) فالشعار الذي وجدناه على الستائر وقطع الاثاث يمثل نسرا قابعا فوق صخرة . وهو شعار اسرة " ديلروش " . وهناك ظهرت على وجه

الكونت علامات الدهشة وعاد إلى حيث كان " رينين" جالسا في ارتياح وهتف :

- ماذا تقول ؟ إنني كنت اجهل هذا . فهز " رينين" راسه وقال وهو يبتسم :

- انا واثق ياسيدي انك لا تريد ان تعترف في سهولة بوجود صلة قرابة ولو بعيدة بينك وبين صاحب قصر " هالينجر " .

- هل تعني بذلك انه رجل جدير بان يتبرا منه ذووه ؟؟

- إنه ارتكب جريمة قتل ياسيدي.

- ماذا تقول ؟!

وظهرت على وجه الكونت علامات الاضطراب والانزعاج . فنهضت "هورتنس" بدورها واقفة بدافع الفضول والانفعال . وقالت تحدث " رينين" :

- هل انت واثق حقا من ان في الامر جريمة قتل . وان شخصا من اهل القصر قد ارتكب هذه الجريمة ؟

- إنني واثق تمام الثقة .

- هل لديك من الاسباب ما يحملك على هذا الاعتقاد؟

- انا واثق مما اقول .. لانني اعرف الرجل والمراة اللذين قتلا .. واعرف اسباب قتلهما .

وكان البرنس يتكلم بلهجة رزينة فاخذ الكونت " ديلروش " يسير في الغرفة جيئة وذهابا . وهو مطرق براسه و يداه معقودتان خلف ظهره . ثم قال اخيرا :

- لقد كنت دائما اشعر بان امرا غير عادي قد حدث في هذا القصر .. ولكني لم احاول قط معرفة ما حدث . والواقع .. ان احد اقربائي كان يقيم في هذا القصر منذ عشرين سنة تقريبا . فإذا كنت واثقا مما تقوله ياسيدي البرنس . فإنني ارجو حرصا على سمعة الاسرة وكرامتها - ان يبقى في طي الكتمان امر هذه الجريمة التي كنت ارتاب في وقوعها دون ان اعلم علم اليقين بانها وقعت .

- وإذن انت تقرر ان قريبك هذا قدارتكب جريمة قتل ؟؟

- إذا كان قد ارتكبها ، فاكبر الظن انه فعل ذلك مرغما .

فهز " رينين" راسه وقال :

- يؤسفني ان اضطر إلى تصحيح هذه العبارة يا سيدي العزيز ، إذ الواقع ان قريبك ارتكب الجريمة في ظروف واحوال تدل على النذالة . بل إنني لم اقع قط على جريمة دبرت ببرود ورباطة جاش كما دبر قريبك جريمته .

- وكيف علمت ذلك ؟؟

وهكذا جاء الوقت الذي يتعين فيه على البرنس " رينين" ان يتكلم وان يفصح بما عنده فنظرت إليه " هورتنس " في فضول وراحت ترقب شفتيه في انتظار كل كلمة ينطق بها . قال " رينين" :

- إن جميع الشواهد تدل على ان قريبك هذا كان متزوجا .. وكان يقيم على مقربة من قصره زوجان آخران فتوثقت او اصر الصداقة بين الأسرتين ولا اعلم على وجه التحقيق ماذا حدث بين الأسرتين ، ولا من هو الشخص الذي جلب الشقاء عليهما .. ولكن هناك ما يحملني على الاعتقاد بأن زوجة قريبك قابلت .. او كانت تقابل الزوج الآخر - اعني زوج جارتها وصديقتها - في البرج المتهدم الذي ارتكبت فيه الجريمة . وقد علم قريبك بخيانة زوجته فصمم على الانتقام . ولكن بطريقة لا تثير فضيحة ، ولا تلوث اسم العائلة وسمعتها . وبحيث لايعلم احد ان الزوجة الخائنة وعشيقها قد قتلا . تذكر قريبك ان بالقصر برجا ، يشرف على البرج الذي اعتادت الزوجة الخائنة وصاحبها ان يجتمعا فيه ، فاحدث في جدار برج قصر (هالينجر) ثغرة حجبها بمطرقة باب قديم ، وراح ينتهز الفرصة لمراقبة العاشقين من خلال هذه الثغرة بواسطة منظار مكبر .

واخيرا قرر الزوج المهين ان يضرب الضربة القاضية .ففي يوم ٥ سبتمبرمنذ عشرين سنة . حانت له الفرصة المناسبة إذ كان القصر يومئذ خلوا من الخدم وكان العاشقان يتناجيان في البرج المتهدم . فصوب إليهما بندقيته وارداهما قتيلين . وهنا كف البرنس " رينين" عن الكلام فساد صمت عميق بدده الكونت اخيرا بقوله :

- هذا صحيح . هذا ما وقع تماما ولاسبيل إلى نكرانه وبهذه

الطريقة انتقم قريبي من زوجته الخائنة .

استطرد "رينين" :

- وبعد ان انفذ القاتل خطته .. حجب الثقب بواسطة المطرقة . ولم يبق عليه بعد ذلك إلا ان يبرر اختفاء زوجته ، ولم يكن أسهل عليه من ان يزعم بانها هربت مع عشيقها .

* * *

وهنا مرت بجسد " هورتنس " فشعريرة شديدة . حيث تبلجت لها الحقيقة .. وادركت الغاية التي يذهب إليها " رينين " هتفت :

- ماذا تقول :

فاجاب " رينين " :

- اقول إن قريب الكونت بعد إن قتل زوجته .راح يتهمها بانها فرت مع عشيقها . فصاحت " هورتنس " :

- كلا.كلا . لقد قال لك عمي ان صاحب القصر كان احد اقربائه فلماذا تخلط بين الحوادث ؟

- إنني لا اخلط بين الحوادث ياسيدتي إذ الواقع انه لم تكن ثمة حوادث ، بل هناك حادث واحد وقد سردت تفاصيل هذا الحادث كما وقع .

فتحولت "هورتنس" إلى عمها ولكن الكونت لزم الصمت .

وسالت نفسها :لماذا لايتكلم ؟ لماذا لايحتج ؟! الا يرى دقة مركزه ؟ الا يشعر بان التهمة التي يوجهها إليه البرنس "رينين " صريحة لأنه الوحيد الذي فرت زوجته دون اعضاء اسرة "ديلروش" جميعا ؟ !

استطرد "رينين" قائلا :

- نعم لم يكن هناك سوى حادث واحد . ففي الساعة الخامسة من مساء يوم ٥ سبتمبر منذ عشرين سنة اغلق صاحب قصر (هالينجر) ابواب قصره وانطلق بدعوى البحث عن زوجته وعشيقها. هجر القصر وترك كل شيء فيه على حاله . ولم يحمل معه سوى البندقية التي ارتكب بها جريمته ، ولكنه تنكرفي اللحظة الأخيرة ذلك المنظار المكبر ، واشفق ان يؤدي العثور عليه إلى اكتشاف الجريمة ، فالقى به في صندوق الساعة المثبتة بالجدار ، فاوقف

المنظار بندول الساعة .

ولما حاولت اليوم فتح باب غرفة الاستقبال عنوة ، احدث ارتطامي بالباب هزة عنيفة ، فسقط المنظار من مكانه حيث كان عالقا بالبندول، واستانفت الساعة عملها، ودقت خمس دقات ، فاعلنت بذلك الوقت بالضبط الذي فر فيه القاتل من القصر.

فصاحت " هورتنس " :

- والادلة ، إنني اطالبك بتقديم الادلة . فاجاب " رينين" بلهجة جادة:

- اتريدين الأدلة ؟؟ إنها كثيرة ، من ذا الذي يستطيع قتل غريميه على بعد سبعمائة متر غير شخص شغوف بالصيد والقنص ويجيد إصابة الهدف ، اليس كذلك يا سيدي الكونت ؟ هل تريدين دليلا اخر ؟ لماذا ابقى صاحب القصر كل شيء على حاله ، فلم يحمل معه غير بندقيته ؟! ولماذا جعل القاتل يوم ٥ سبتمبر من كل عام موعدا لافتتاح موسم الصيد في ادغاله وغاباته ، وراح يسرف في هذا اليوم دون غيره من ايام السنة في تناول الشراب وغيره ؟؟ إنه فعل ذلك لينسى الجريمة التي يتراءى له شبحها ، ويمتلىء بها ذهنه في مثل هذا اليوم من كل سنة . اتطلبين المزيد من الأدلة ياسيدتي ؟ ها هو ذا الدليل الحي .. واشار باصبعه إلى الكونت " ديلروش " كان الكونت ممتقع اللون ، خائر العزيمة . لايجسر على أن يرفع عينيه إلى وجه الرجل الذي راح ينبش الماضي بتلك المهارة العجيبة .

واطرقت "هورتنس" براسها.

لم تشعر نحو عمها بشفقة لا لانها لم تكن تحبه .. بل لأنه كان لديها من الأسباب ما يحملهاعلى مقته وكراهيته . وساد الصمت لحظة . وفجاة نهض الكونت واقفا ، واقترب من "رينين" وقال له :

- سواء كان ما ذكرته هوالحقيقة ام لم يكن ، فإنك لا تستطيع أن تصف الزوج الذي ينتقم لشرفه بانه قاتل . فاجاب البرنس رينين":

- صبرا ياسيدي الكونت . إنني لم اسرد هذه القصة إلا بصفة تمهيدية ، ولكن هناك صيغة اخرى للقصة اقرب إلى الحقيقة

والواقع مما ذكرت .

- ماذا تعني ؟

- اعني أن الزوج لم ينتقم لشرفه كما زعمت اولا ، بل هناك مجال للافتراض بانه كان رجلا مفلسا ، وقد أراد ان يسطو على اموال صديقه كما سطا على عرضه ، فقرر ان يتخلص من زوجته ومن صديقه في وقت واحد ، وبذلك يخلو له الجو ، فيقترن بزوجة صديقه ويستمتع بامواله. ولذلك اغرى زوجته وصديقه على زيارة البرج المتهدم ، ثم قتلهما برصاص بندقيته ، واقترن بالأرملة .

فصاح الكونت :

- كلا . كلا . هذا كذب .

- إن في استطاعتي ان اقيم الأدلة على صدق ما اقول . والدليل المنطقي الأول . هوان القاتل لايمكن ان يشعر بالندم ووخز الضمير إذا كان قد عاقب المذنب بقتله .

- إن الإنسان يشعر بالندم إذا ارتكب جريمة قتل مهماكان الدافع إلى الجريمة .

- وهل يدفع الندم القاتل إلى الاقتران بارملة ضحيته ؟! إن لنا أن نتساءل هل كان الكونت مفلسا والارملة غنية حين تم زواجهما ؟

ولنا كذلك ان نتساءل ، هل كانت هناك علاقة اثيمة بين القاتل والارملة دفعتهما إلى قتل الزوج لكي يخلو لهما الجو ؟!

نعم إن هناك عشرات من الاسئلة لاتهمنا في الوقت الحاضر ، ولكن رجال العدالة يستطيعون معرفة الجواب عليهاإذاارادوا

فترنح الكونت

" ديلروش " في مكانه ، وغمغم :

- هل ستخطر رجال العدالة ؟

- كلا .. كلا .. إن وخز الضمير عشرين سنة والشقاء العائلي ، والجحيم الذي يعيش فيه القاتل . كل ذلك في اعتقادي عقوبة كافية . ولعل من أشد العقوبات واهولها ، أن يضطر القاتل الآن وقد افتضح امره ، ان يفزع إلي الهيكلين العظميين فيحملهما بين يديه تحت جنح الظلام ويواريهما التراب ، قبل ان يقع عليهما

شخص آخر لا يقدر ظروفه فيسوقه إلى ايدي العدالة . فتنهد الكونت وغمغم :

- إذن ، لماذا ...

- إذن لماذا اهتممت بالأمر ؟؟ لابد ان تشعر بانني ارمي من هذا الاهتمام إلى غرض ، ولكن لا تجزع ياسيدي الكونت إنني لن اطالبك بما يعجزك . وهنا تنفس الكونت الصعداء ، وشعر بان النضال انتهى ، ولم يبق عليه إلا ان يضحي ببعض ماله ، فيستر جريمته بشراء سكوت البرنس " رينين". وساله في شيء من التهكم :

- كم تطلب ؟؟

فضحك "رينين" وقال :

- يسرني انك فهمت الموقف على حقيقته ، وفقط يجب ان تعلم بانك تخطىء إذا اعتقدت انني اسعى لغرض شخصي . فدهش الكونت وسال :

- إذن ؟!

- كل ماطالبك به .. هو ان تعطي صاحب الحق حقه ..

- لا افهم ما تعني . فانحنى " رينين" إلى الأمام . وقال بلهجة حاسمة : - توجد في احد ادراج هذا المكتب وثيقة ينقصها توقيعك. وهذه الوثيقة خاصة بجزء من املاكك يراد تحويله إلى ابنة اخيك " هورتنس دانيل " ... وقيمة هذه الأملاك تعادل المبالغ التي تركها ابوها لها . فبددتها انت . وكل ماأريده منك الآن هو ان تضع اسمك على هذه الوثيقة ... فرفع الكونت راسه بحدة .. وبدت عليه علامات التمرد .. وسال :

- هل تعرف قيمة الأملاك التي يراد مني النزول عنها ؟

- لا اريد ان اعرف .

- وإذا رفضت .

- إذا رفضت فإنني اطلب في الحال مقابلة الكونتس "ديلروش". فهي قد يهمها ان تعرف مصير زوجها الأول .. كان التهديد صريحا . فلم ينتظر الكونت اكثر من ذلك . ونهض في

الحال إلى احد ادراج المكتب ففتحه . واخرج منه وثيقة مطوية . فبسطها امامه .. ووقع عليها بإمضائه . ثم قدمها إلى البرنس وهو يقول :

- إليك الوثيقة ... وارجو ...

- انت ترجو ما ارجوه .. فكلانا يتمنى الا يرى وجه صاحبه بعد الآن .. إلى اللقاء ياسيدي .. سارحل في المساء. وسترحل ابنة اخيك غدا . وخرج وتبعته " هورتنس ".. ولما وصلاإلى غرفة الاستقبال . ولم يكن بها احد . قدم "رينين" الوثيقة إلى صاحبته.

وسالها في رفق :

- والآن ..هل ما زلت ناقمة علي ؟؟ فمدت إليه يديها وغمغمت :

- إنك انقذتني من "روسيني".. ورددت إلي اموالي وحريتي .. فاشكرك من اعماق قلبي .

- إنني لا اطالبك بالشكر .. لقد كان كل غرضي في بداية الأمر أن ادخل شيئامن السرور والتسلية على نفسك الحزينة فهل تعتقدين انني وفقت ؟

- كيف تلقي علي مثل هذا السؤال ؟ لقد مرت بي اليوم دقائق لن انساها واصبحت اعتقد أن الحياة لاتكون حياة بمعناها الحقيقي إذا اقفرت من المغامرات .

- إذا كنت ترين هذاالراي وتعتقدين ان المغامرة هي الحياة .. فتعالي معي .. وساهمي في مغامراتي فإذا وقعت - بالغريزة او بالمصادفة - على اثر جريمة من الجرائم . . فاشتركي معي في كشف غوامضها .. وعاونيني على الترفيه عن آلام الناس ومتاعبهم .. فهل توافقين ؟؟

- اوافق من كل قلبي ..

-٢-

جريمة الشاطئ

كان يوم ٢ اكتوبر قطعة من الصيف رغم ان هذا الفصل كان قد انفرط عقده او كاد . . وقد اغرت حرارة الجو سكان (ايتريتا) على الخروج إلى الشاطىء لقضاء ذلك اليوم بين امواج البحر ورماله .

وقد كان البرنس " رينين" وصاحبته " هورتنس " بين اولئك الذين ساقتهم الأقدارإلى شاطىء (ايتريتا) في ذلك اليوم .. فقلبت الفتاة البصر بين السماء والماء وغمغمت :

– مابدع الجو اليوم !! ثم استطردت بعد لحظة :

– بيد اننا لم نجيء اليوم بقصد الاستمتاع بجمال الطبيعة ... او للتحقق من ان هذه الصخرة الواقعة على الشاطىء كانت حقا ملجا لـ " ارسين لوبين " في احد الأيام .. فقال البرنس "رينين" :

– كلا .. إننا لم نجئ لهذا او ذاك .. واعترف ان الوقت قد حان لإشباع فضولك .. ولو إلى حدما ... واقول إلى حد ما لأن ابحاثي وجهودي طيلة اليومين الأخيرين لم تسفر عن النتيجة التي كنت اتوقعها .

– تكلم إذن .. إنني مصغية إليك

– لن اطيل عليك الحديث .. ولكن لابد من بضع كلمات على سبيل التمهيد . انت تعلمين يا صديقتي العزيزة انني ابحث عن المغامرات حيثما توجد وإنني لذلك اكلف بعض اصدقائي بإخطاري عن كل حادث استطيع ان اجد فيه شيئا من الغموض او التسلية ... وقد حدث في الأسبوع الماضي ان اخطرني احد اصدقائي بانه سمع عفوا حديثا تليفونياً جرى في منزله بباريس . فقد اتصلت إحدى السيدات تليفونيا بشخص يقيم في فندق بإحدى المدن الكبرى القريبة ولم يعرف صديقي اسم الرجل او اسم الفندق او اسم المدينة .. وكانت السيدة تتحدث باللغة الإسبانية بلهجة غير مالوفة .. بل كانت تحذف مقاطع بعض الألفاظ ليتعذر على السامعين فهم كلامها. وعلى الرغم من كل ذلك . فقد استطاع

صديقي ان يلم باطراف اهم نواحي الحديث . وان يقع على اهم المعلومات التي كانت السيدة تحرص على كتمانها . ويلخص ما فهمه صديقي في ثلاث نقط :

اولا : إن هذه السيدة والرجل الذي تحدثت إليه - هو شقيقها - يتوقعان مقابلة سيدة اخرى تود التخلص من زوجها مهما كلفها ذلك .

ثانيا : إن موعد المقابلة تحدد مبدئيا في يوم ٢ اكتوبر .. ... على ان يتم هذا التحديد بصفة نهائية قاطعة بواسطة إعلان قصير ينشر بإحدى الصحف في لباقة وحرص .

ثالثا : ان تعقب مقابلة (٢ اكتوبر) نزهة على الشاطىء ترافق فيها السيدة الأخرى زوجها الذي تريد الخلاص منه .

هذه هي الحقائق الأساسية . ومن تحصيل الحاصل ان اصف لك مبلغ عنايتي بقراءة الإعلانات الصغيرة التي نشرتها الصحف الباريسية في الأيام الأخيرة ... على ان جهودي لم تذهب هباء فقد وقعت في إحدى الصحف صباح امس على الإعلان التالي :

" المقابلة ٢ اكتوبر ظهرا - ما تيلدا " .

وقد استنتجت ان الجريمة سترتكب على شاطىء البحر وهو استنتاج يتفق وما تقرر من القيام بالنزهة على هذا الشاطىء ولما كنت اعرف ان في هذه الناحية صخرة يطلق عليها اسم (ماتيلدا) فقد اتينا الآن لكي نفسد على اولئك الأشرار نواياهم .

فقالت " هورتنس" تستفسره :

- اتعني أن في الأمر جريمة ؟ هذا مجرد افتراض بلاريب . فاجاب "رينين" قائلا :

- كلا . فقد ورد في سياق المحادثة التي استرقها صديقي ذكر مسالة زواج ... زواج الاخ بالسيدة التي تريد الخلاص من زوجها . او زواج الاخت بزوج هذه السيدة . وهذا مما يقوي فكرة وجود جريمة مبيتة .

وكان مجلس " هورتنس " و" رينين"على شرفة الكازينو في مواجهة السلم المؤدي إلى الشاطىء . فشاهدا اربعة رجال يلعبون

الورق امام اكشاك الاستحمام وقد جلس غير بعيد عنهم بعض نساء يتجاذبن أطراف الحديث وهن يشتغلن بالتطريز . وراح نفر من الأطفال يمرحون على الشاطىء وقد غاصت اقدامهم في أمواجه . ولم يكن يلفت النظر فوق نلك سوى احد الأكشاك وقد تميز بوقوعه منعزلا عماجاوره وبإغلاق بابه .

فقالت "هورتنس" :

– الحق أن صفاء الطبيعة و جمال المشاهد التي امامنا لا يقعان من نفسي وقع تلك الآراء التي سردتها .نعم لقد شغلتني الجريمة الغامضة التي تخشى وقوعها .

– اصبت فإنني اخشى وقوعها كما تقولين .وارجو أن تصدقيني إذا قررت لك انني جعلت اقلبها على جميع وجوهها منذ امس الأول دون ان افوز بنتيجة شافية بكل اسف .. فهتفت تردد قوله :

– دون ان تفوز بنتيجة شافية !.. إذن على أي وجه تنتهي هذه المسالة ؟ واستطردت تقول كانما تخاطب نفسها :

– ترى من المهدد بالخطر من هؤلاء جميعا ؟ لقد وقع الاختيار على ضحية بلا ريب .. ولكن من هذه الضحية ؟ اهي تلك الشقراء الجميلة التي تتمايل طربا وهي في ميعة العمر وزهرة الشباب ؟ اوهل سينشب الموت أظفاره في ذلك الرجل الذي ينعم بالتدخين ؟ ومَنْ مِنْ هؤلاء يطوي الضلوع على الغدر والاغتيال ؟ على أنه إذا كانت تلوح عليهم جميعا دلائل السعادة والاستسلام لعوامل اللهو البريء الذي ينهمكون فيه ، فإن الموت يحلق فوق رؤوسهم ويرفرف حولهم بجناحيه .. فقال " رينين" :

– هانت قد اخذت تنصرفين إلى الاهتمام بما يدور حواليك .. وقد بدا اهتمامك ينجلي مبكرا.. الم اقل لك من قبل .. إن الحياة مغامرة كبرى ، وليس هنالك ما يعادل المغامرة ؟ .. لكنني أراك قد بدات ترتعدين قبل ان يقع شيء حقا ..إنك ستساهمين في جميع الوقائع التي تدور او ستمثل حولك ، وارى ان الشعور بالخفاء الذي يحيطك قد وصل إلى قرارة نفسك.. أراك تحدقين إلى تلك

الأسرة التي تتقدم نحونا .. فهل عندها سر الجريمةالمخبوءة ؟ قد لايستبعد ان يكون هذا الرجل هو الذي يضمر التخلص من زوجته .. او ربما كانت هذه السيدة هي التي تنوي القضاء على زوجها .. فهتفت " هورتنس" :

- عائلة " امبرفال" !.. كلا.. هذا مستحيل .. فهي اسرة هانئة وادعة .. وكنت اتحدث بالأمس إلى الزوجة ، وكذلك كان من نصيبك أن تبادلها الحديث.

- إنني قد لعبت الجولف مع "جاك امبرفال " الذي يهتم بالألعاب الرياضية كما ساهمت مع ابنتيه الفاتنتين في إحدى ألعابهما .

وفي هذه اللحظة دنا "امبرفال" وزوجته من مجلس " هورتنس" و"رينين" . وبعد ان تبادل الجميع بعض عبارات التحية ذكرت مدام "امبرفال" ان فتاتيها قد عادتا إلى باريس صباح اليوم مع المربية ، على حين وقف زوجها ذو اللحية الشقراء يتافف من الحر وقد تابط سترته .

وواصل الاثنان سيرهما وما كادا يبتعدان عن " رينين" و"هورتنس " بنحو عشر خطوات حتى وقفا على سلم الكازينو وسال "امبرفال"زوجته :

- هل معك مفتاح الكابين يا "تيريز" .؟

- فاجابته قائلة :

ها هو ذا اتذهب إلى الكابين لمطالعة الصحف ؟ فقال "امبرفال" :

- نعم .. إلا إذا استحسنت ان نقوم بجولة معا .

فقالت زوجته :

- ارى ان نؤجل السير إلى ما بعد الظهر.فهل توافق على هذا الراي ؟ إن لدي عشرة خطابات يتحتم علي كتابتها .

فقال " امبرفال " :كما تشائين .وسنصعد فوق الصخرة بعدالظهر. هنالك لم يتمالك " رينين" و" هورتنس" نفسيهما من ان يتبادلا نظرة تنم عن الدهشة . فهل كانت خطة هذه النزهة مرسومة من قبل؟ وهل هذه الأسرة هي ضالتهما المنشودة ؟ ضحكت " هورتنس " ضحكة مفتعلة وقالت:

- إن قلبي يدق دقا عنيفا . ومع ذلك فإني لا استطيع ان اسلم

بإمكان حدوث مثل هذه المسالة . فقد قررت الزوجة امامي ذات يوم انه لم يقع بينها وبين زوجها مشاحنة طفيفة .. إن من الجلي ان هذين الزوجين يتمتعان بالثقة المتبادلة والحياة الزوجية السعيدة .

وهبط الزوج " امبرفال" درجات السلم ، بينما وقفت زوجته متكئة إلى حاجز الشرفة بقوامها الرشيق . ومع انها كانت على حظ وافر من الملاحة فقد كان محياها حينما يتلاشى ما يعلوه من ابتسام يشف عن الم خفي وحزن كامن .

وهتفت فجاة حينما شاهدت زوجها ينحني فوق رمال الشاطىء:

- هل اضعت شيئا ياجاك" ؟

فاجابها قائلا :

- نعم . فقد سقط المفتاح من يدي . فلحقت به وراح الاثنان يفتشان عن المفتاح ، ومالبثا ان اختفيا عن انظار "رينين" "وهورتنس" وتلاشى صوتاهما في جلبة اللاعبين . على انهما ظهرا للعيان بعد قليل فصعدت مدام "امبرفال" بضع درجات من السلم ثم وقفت تجيل بصرها بين الأمواج . اما زوجها فقد طوح سترته على كتفه واتجه إلى ناحية الكابين) المنعزل .

وفيما هو يتقدم هتف به لاعبو الورق وطلبوا إليه ان يفصل في خلاف شجر بينهم في اثناء اللعب ، لكنه اعلن عن رفضه لهذه المهمة بحركة من يده ، وابتعد عنهم واستانف سيره حتى بلغ (الكابين) ففتحه وبلف إلى الداخل .اما " تريز " امبرفال " فقد اتجهت نحو الشرفة وجلست فوق احد المقاعد زهاء عشر دقائق ،ولم تلبث ان غادرت الكازينو ، وراتها " هورتنس" تدخل في احد الابنية الملحقة بفندق " هوفيل " وظهرت بعد ذلك في شرفة المبنى . وقال" رينين":

- لقد اذنت الساعة بالحادية عشرة .. ولن ينقضي وقت طويل حتى يذهب شخص مجهول إلى الموعد المحدد ويحتمل ان يكون هذا الشخص هو هذه السيدة او زوجها او احد هؤلاء اللاعبين ..،او احد رفاقهم ..

ورغم ذلك فقد مضت عشرون دقيقة ، ثم تلتها خمس دقائق اخر ولم يتحرك احد من موضعه . وقالت "هورتنس" آخر الامر وقد زايلها

تماسك اعصابها :

– الا يحتمل ان تكون مدام " امبرفال" قد ذهبت إلى الموعد المعلوم؟. فهي لم تعد في الشرفة بعد ..

فقال " رينين" :

–إذا كانت قد توجهت إلى صخرة " ماتيلدا" فسنفا جئها عندها . ونهض "رينين" من مجلسه .. وفي هذه اللحظة ثار بين اللاعبين خلاف جديد وعلا ضجيجهم ، وقال واحد منهم:

– لنحكم " امبرفال " بيننا .

فقال اخر :

– كما تشاء .. وانا اتعهد بالنزول على حكمه إذا قبل ان يفصل بيننا .. لكنه رفض بخشونة من برهة وجيزة ان يبدي حكما . وهتف الجميع في نفس واحد قائلين :

– امبرفال " ! .. " امبرفال" !..

ولاحظ اللاعبون ان "امبرفال" حينما دخل إلى (الكابين) اغلق الباب خلفه ، الأمر الذي يجعله في ظلام دامس في الداخل ، لاسيما انه لم يكن للكابين نوافذ ، فقال احدهم :

– لابد انه قد نام .. فلنوقظه .. وهتفوا مرة اخرى معا :

– "امبرفال "! .." امبرفال "!.. ..ونهض اللاعبون الاربعة واتجهوا إلى ناحية الكابين . وهم يهتفون باسم "امبرفال" ، دون ان يجيبهم فلما يئسوا من الفوز بالرد على نداءاتهم المتكررة راحوا يطرقون الباب قائلين :

– ماذا جرى يا "امبرفال" ؟ .. هل انت نائم ؟

اما "سيرج رينين" فقد انتصب فجاة فوق الشرفة وقد لاحت عليه امارات القلق الشديد ،حتى لقد انزعجت " هورتنس" من هيئته وهتفت قائلة :

– عسى الا نكون قد تاخرنا ..

ولم تكد " هورتنس" تتم عبارتها حتى قفز " رينين" فوق السلم قفزة قوية وانشا يعدو متجها إلى الكابين ، فبلغه في اللحظة التي هم اللاعبون باقتحام بابه .

فصاح فيهم في لهجة الآمر قائلا :

- قفوا . لابد ان يسير كل شيء بنظام ..

فقالوا يسالونه وقد دهشوا لرؤيته :

- ماذا تعني ؟

لكنه لم يجب وإنما صوب إلى الباب نظرات فاحصة ، وما لبث ان راح يحاول الصعود إلى السقف ، فلما بلغه بعد مشقة اخذ يصوب بصره إلى داخل الكابين ، على حين هتف اللاعبون يسالونه متلهفين :

- ماذا جرى ؟ اتبصر شيئا ؟

فقال وهو يعود إليهم :

- لقد كنت افهم حق الفهم ان المسيو " امبرفال " لا يجيب إلا لأن حادثا خطيرا يمنعه من ذلك .

فراح الأربعة يرددون عبارته قائلين :

- حادث خطير؟

فقال " رينين" :

- نعم .. فكل الدلائل تشهد بان مسيو " امبرفال" قد جرح .. أو فارق الحياة .

فصاحوا يقولون :

- وكيف يجرح أو يفارق الحياة . وقد مر بنا منذ برهة وجيزة ؟

واخرج " رينين" من جيبه مطواة واخذ يعالج فتح القفل ، فلما نجح آخر الامر وفتح مصراعي الباب ارتفعت صيحات الرعب والفزع من كل جانب . فقد شاهدوا " امبرفال " ممددا على وجهه فوق الأرض وقد قبض بكلتا يديه على سترته وصحيفة كان يطالع فيها .. وأخذ الدم ينبثق من ظهره فيصبغ قميصه بلون احمر قان .

هنالك قال أحد الرجال الأربعة :

- هذه جناية إذن ؟ .. لكن هذا مستحيل .. فإنه لم يقترب احد من هنا .. ولو مربنا احد لرايناه .. فإنه لايمكن أن يدنو من الكابين دون أن يقع بصرنا عليه . وهرع من الشاطيء رجال ونساء واطفال

يستطلعون جلية الخبر وتجمعوا امام الكابين .. وكان بينهم طبيب أسرع بالدخول .. ولكنه ما لبث أن رأى انه قد جاء بعد فوات الأوان ، فقد رأى أن المسيو "امبرفال" قد فارق الحياة ، وقرر لمن حوله انه مات متأثرا بطعنة خنجر . واقبل عمدة البلدة بعد قليل وفي رفقته بعض الحرس والأهالي . وبعد أن عاين الجثة وتمت الإجراءات المألوفة في مثل هذه الحال حملت الجثة إلى حيث تشيع إلى مرقدها الأخير . وتطوع بعض الأفراد بالذهاب إلى " تيريز أمبرفال" زوجة القتيل لإبلاغها نبا الفاجعة ، فوجدوها واقفة في شرفتها .

* * *

وهكذا ارتكبت هذه الجناية دون أن يتوصل أحد إلى إدراك غوامضها .. وكيف يعقل ان يقتل إنسان في فترة لاتتجاوز عشرين دقيقة على مشهد من هذا الجمع ، اوعلى الأقل في اثناء وجودهم على مدى الصوت منه ، وقد أغلق على نفسه الكابين من الداخل ، ولم يقتحم إنسان عليه الباب إذ وجد القفل سليما ؟

فاما الخنجر الذي اصيب منه بطعنة بين كتفيه ، فإن احدا لم يهتد إليه.. وهكذا بدت هذه الجريمة شديدة الغموض والخفاء حتى لكانها سحر ساحر أو شيطان اثيم .. ولم تستطع " هورتنس" ان تسير مع الذين ذهبوا لإخطار مدام " امبرفال" بالكارثة كما رغب إليها " رينين" أن تفعل.. فقد كانت هذه هي المرة الأولى التي تقودها فيها مغامراتها مع "رينين " إلى مواجهة الجريمة والإشراف على وقائعها وملابساتها عن كثب، حتى لقد احست برعشة تسري في كيانها وأخذت تتمتم قائلة :

– هذا مروع حقا ! .. ويل للمجرم الأثيم ! . أواه يا " رينين " ... لقد كان في وسعك ان تعمل على دفع الكارثة وإنقاذ هذا التعس .. إن التفكير في هذا الخاطر يبعث في نفسي جزعا لاحد له .. لقد كان الواجب يحتم علينا أن نبادر الى إنقاذه مادمنا قد وقفنا على طرف من انباء المؤامرة... فاخرج "رينين " زجاجة نوشادر من جيبه وادناها من أنفها ، فلما هدأ روعها راح يتفرس في وجهها وقال

- هل تعتقدين حقا بوجود صلة بين الجريمة التي ارتكبت الآن وبين تلك المؤامرة التي عزمنا على كشف غوامضها ؟ فادهشها سؤاله واجابته قائلة :

- نعم . إنني اعتقد في ذلك اعتقادا راسخا .

فقال " رينين " :

- إذن ، فما دامت المؤامرة دبرتها زوجة ضد زوجها .. وقد ذهب الزوج ضحية لها .. فلا مناص لك من التسليم بان مدام "امبرفال" الزوجة هي .. فصاحت " هورتنس " قائلة :

- كلا .. كلا ..إن مدام " امبرفال " لم تغادر منزلها .. وفوق ذلك فلايمكن ان اعتقد ان هذه السيدة الوديعة مجرمة تتلطخ يداها بدماء زوجها. لا .. لا .. لا ريب ان هنالك سراخفيا في ظروف هذه الواقعة ..

- اي سر هذا الذي تعنين ؟

- آه .. إنني لم اعد اقوى على الفهم .. فإن كل هذه الوقائع تبدو لعيني شديدة الغموض لا أستطيع النفاذ بفكري إلى بواطنها .

- إنني اكاد ارى رايك ايضا. ولايبعدان الحديث الذي دار بين الاخ واخته قد فهم على غير وجهه الصحيح . وفي وسعك أن تلاحظي ان الجريمة قد تمت في زمان ومكان يختلفان كل الاختلاف عما كنا نتوقع .. وامسك هنيهة ثم استطرد قائلا :

- وإذن فليس هناك ادنى صلة بين المسالتين . فقالت " هورتنس":

- لقد اصبحت عاجزة عن الفهم .. وهذه كلها امور تبدو لعيني شديدة الغرابة والغموض .. فقال "رينين" وقد لاحت على وجهه امارات التهكم :

- إن تلميذتي تضرب لي اليوم أسوا الأمثال بسلوكها .

- ماذا تعني ؟

- إن ما وقع امامك هو امر هين لا صعوبة فيه ..فقد شاهدت بعيني راسك ما حدث كانما هو احد المشاهد السينمائية .. ومع ذلك فما زلت عاجزة عن الفهم كانك تسمعين عن حادث وقع في مكان سحيق . فقالت " هورتنس " وقد احست بالخجل يساورها :

– ماذا تقول ؟ وهل فهمت انت شيئا مما حدث ؟ فالقى نظرة على ساعته واجاب قائلا :

– لم افهم كل شيء .. نعم إنني كنت اول من صافح بصره مشهد الجريمة المروعة ، لكنني لم اتوصل إلى كشف خفاياها بعد ، ومعرفة الدافع إليها . لقد انتصف النهار . ومتى راى الاخوان ان احدا لم يحضر إلى الموعد المتفق عليه عند صخرة " ماتيلدا " فإنهما يعودان إلى الشاطىء الا ترين معي انه يجب علينا ان نبحث عن شريكهما الذي اعتقد اعتقادا راسخا بوجوده ؟ وكذلك عن العلاقة التي تربط هاتين المسالتين معا؟

واتجه الاثنان إلى ناحية المنازل الملحقة بالفندق ، فشاهدا في الطريق بعض الصيادين ، ووجدا لدى احد المنازل جمعا حاشد ا من الناس دفعهم الفضول إلى الوقوف والاستطلاع ، على حين وقف اثنان من الحرس يحولان بينهم وبين دخول المنزل .

وقد حاول العمدة بنفسه ان يفرق الجموع عبثا ، وكان قد عاد من مركز البوليس حيث اتصل بـ"الهافر" تليفونياً ، فاخطر بان وكيل النيابة سوف يحضر مع قاضي التحقيق بعد ظهر اليوم وقال "رينين" حينما وقف على هذه البيانات :

– هذه مهلة نستطيع في اثنائها ان نتناول طعام الغداء ، ولن يسدل الستار على هذه الماساة قبل الساعة الثانية او الثالثة .

واسرعا في سيرهما لتناول الغداء . وكانت " هورتنس" قد احست بالتعب ينهك قواها ،كما كانت تساورها رغبة ملحة في استفسار "رينين" عما يبدو لعينيها شديد الغموض .. لكنه لم يجبها إجابة شافية . وما فتىء يصوب بصره إلى الشاطىء في اثناء تناول الطعام من خلال نوافذ الغرفة التي تشرف على البحر. فقالت " هورتنس " :

– هل تترقب احدا ؟ فاجابها قائلا :

– نعم .. إنني التمس الاخ واخته .فقالت " هورتنس":

– وهل تحسبهما يجازفان بالحضور ؟

فهتف "رينين " قائلا :

- بل هاهما قد اقبلا .. وهرع "رينين" إلى خارج الحجرة مسرعا .
وشاهدت " هورتنس" لدى راس الشارع الرئيسي رجلا وامراة يتقدمان بخطى مترددة كانهما على غيرعلم بالجهة التي يقصدانها وكان الأخ ضئيل الجسم يضع على راسه قبعة رخوة (كاسكيت) مما يلبسها سائقو السيارات . اما الأخت فكانت بدينة تلوح عليها دلائل القوة وقد ارتدت معطفا فضفاضا وعلى الرغم من انها كانت متقدمة في السن فقد ظلت محتفظة باثار حسن قديم تلوح تحت النقاب الشفاف الذي كانت تغطي به وجهها .
ولما راى الاثنان تلك الجموع الحاشدة اتجها نحوها في خطوات تشف عن الاضطراب والتردد . واستوقفت الأخت بحارا في طريقها ، واستفسرته جلية الخبر ، فما كاد يعلن إليها نبا وفاة " امبرفال " حتى بدرت منها صيحة مكتومة وراحت تشق طريقها بين الجمع المحتشد .. ولما علم الأخ كذلك بحقيقة المسالة شق لنفسه طريقا بين الجمهور المزد حم حتى وصل إلى باب المنزل ، وهناك راح يخاطب الحارسين قائلا :
- إنني صديق لـ"امبرفال" ... هاكم بطاقتي واسمي " فردريك استنج".. وهذه شقيقتي " جرمين استنج "، وهي صديقة حميمة لمدام "امبرفال " . لقد كانا في انتظارنا .. وكنا نحن الأربعة على موعد مهم .
فاخلى الحارسان سبيلهما وتركاهما يمران دون كلمة واحدة .
وكان "رينين" في اعقابهما، فدخل في اثرهما وفي صحبته "هورتنس
كانت اسرة امبرفال" تحتل الطابق الثاني المكون من اربع غرف وصالون ، فاسرعت الأخت إلى إحدى هذه الغرف ثم ارتمت على ركبتيها قرب السرير الذي سجي عليه جثمان القتيل . وكانت " تيريز امبرفال " في تلك الحجرة تبكي وترسل الدمع السخين ، بينما احاط بها نفر جلسوا حولها في صمت وسكون . هنالك اقبل عليها الأخ وامسك بيديها في توجع وقال في صوت متهدج :
- يا صديقتي المسكينة .. ياصديقتي المسكينة . وجعل " رينين" "وهورتنس"يحدقان طويلا إلى هذين الزائرين وقد اقبل الأخ على

"تيريز" يواسيها على مثل هذه الحال .

فقالت " هورتنس"تخاطب " رينين " في صوت خافت مرتعش النبرات :

- ايمكن ان تكون هذه المراة قد قتلت زوجها من اجل هذا الرجل ؟ هذا محال .. هذا محال ..

فقال "رينين" :

- ومع ذلك فإن بينهم معرفة وثيقة .. وقد بلغنا من قبل ان فريدريك استنج" واخته يتصلان بشخص ثالث هو شريكهما .. حتى انه .. فقاطعته " هورتنس" قائلة :

- هذا محال ... هذا محال ...

شعرت " هورتنس "بعطف كبير على " تيريز امبرفال " رغم تلك الاتهامات التي كانت تكال لها . وماكاد "فردريك استنج " يقوم من جانبها حتى سارعت الأخت إليها وجلست بقربها واخذت تواسيها في رفق ، بينما دموعها تنحدر بلا انقطاع .

اما رينين" فقد وجه عنايته إلى مراقبة الأخ واخته مراقبة دقيقة ولم يدعهما يغيبان عن نظره لحظة .

ولقد طرح " فردريك " عنه امارات التاثر واخذ يتنقل بين الغرف باحثا منقبا ، وراح يختلط بافراد الجمهور ويستفسر الناس عن كيفية وقوع الجريمة ، كما رافقته شقيقته في بعض طوافه .

فلما اتم المهمة التي اخذها على عاتقه عاد إلى جانب مدام "امبرفال " وهو يكاد يفيض عطفا عليها ورثاء لما الم بها .

وانفرد بعد ذلك باخته في الغرفة الخارجية وجرت بينهما مناقشة طويلة افترقا على اثرها وقد لاح عليهما انهما قد اتفقا على امر معين . والما باطرافه جميعا... وخرج " فردريك " من المنزل بعد ذلك، وقد استغرقت هذه الاجتماعات والمحاورات مدة تتراوح بين ثلاثين واربعين دقيقة . ووصلت في هذه اللحظة سيارة تقل النائب وقاضي التحقيق . ولما لم يكن " رينين " يتوقع حضورهما بمثل هذه السرعةفقد راح يخاطب "هورتنس" قائلا :

- يجب ان نعجل بالعمل .... لازمي مدام " امبرفال " ولا تفارقيها مهما حدث . واخطر الأشخاص الذين يفتقر التحقيق إلى اقوالهم ، بالاجتماع عند الشاطىء إذ يبدأ القاضي تحقيقه الابتدائي ، وقد تقرر بعد ذلك ان يرجع إلى المنزل لاخذ اقوال مدام "امبرفال" ، خرج الجميع ولم يبق سوى الحارسين و" جرمين استنج " .

وجثت "جرمين استنج" للمرة الاخيرة إلى جانب فراش القتيل ، ثم اطرقت براسها وجعلت تصلي طويلا . ثم نهضت وفتحت الباب المؤدي إلى السلم .. وهناك دنا منها " رينين " وقال يخاطبها :

- لدي كلمات قليلة اود ان القيها على سمعك يا سيدتي فلاحت عليها سمات الدهشة . بيد انهاجابت قائلة :

- قل ما تشاء يا سيدي فإنني مصغية إليك .

- لكن لايمكن ان اتكلم في مثل هذا المكان .

- إذن فاين تحب ان نتحدث ؟

- في مكان قريب من هنا . في الصالون فاجابته في عنف قائلة :

- كلا .

فقال " رينين" :

- وما المانع ؟ إنك لم تصافحي مدام " امبرفال " ، ومع ذلك فانا اعتقد انها صديقتك على كل حال .. اليس كذلك ؟ ولم يترك لها وقتا كافيا لكي تفكر ، وإنما جذبها إلى الغرفة واغلق الباب خلفها ثم اسرع إلى مدام " امبرفال" وقد حاولت ان تغادر الغرفة وخاطبها قائلا :

- كلا يا سيدتي . استحلفك ان تبقي وان تسمعي ما يقال ، فإن حضور السيدة " استنج " يجب الا يحملك على الخروج .. إننا سنتحدث في مسائل شديدة الخطورة ، وسوف نبدأ الحديث فورا .

ووقفت المراتان وجها لوجه وراحتا تتبادلان نظرات تفيض حقدا لا يخفى على أحد . وكانت " هورتنس" تعتقد حتى هذه

اللحظة انهما على وفاق وتفاهم في بعض المسائل ، فلما تجلى لها ماتضمر كل منهما للاخرى من حقد دفين خشيت أن يحدث مالا تحمد عقباه . فراحت تحض " تيريز" على الجلوس ، بينما جلس "رينين " في وسط الحجرة وانشا يخاطب المراتين قائلا :

- إن المصادفة المحضة التي هدتني إلى الوقوف على الحقيقة ستهيئ لي ان انقذكما كليكما على شرط ان تذللا مهمتي باطلاعي على كافة البيانات التي احتاج إليها .اماحقيقة الخطر الذي يتهددكما فانتما لا تجهلانه ، بل كلتاكما تعرفه معرفة جيدة ، وتدرك جيدا ماقد يتولد عنه من شر جسيم . لكن الحقد يملأ عليكما شعاب نفسيكما ... وليس هناك سواي من يسيطر على الموقف سيطرة تامة ويستطيع ان يوجه السفينة إلى الوجهة المامونة ... إن قاضي التحقيق سيرجع بعد نصف الساعة... ويجب ان يتم الاتفاق بيننا على جميع التفاصيل قبل حضوره .

ما كادت المراتان تلمان بما ينطوي عليه قول " رينين" حتى لاحت عليهما دلائل الاضطراب . بيد انه لم يحفل بما اصابهما ، وإنما استطرد يقول في لهجة التسلط والامر :

- نعم .. لابد ان نتفق .. وسوف يتم هذا الاتفاق سواء رضيتما ام كرهتما .. فإن هذا الموضوع ليس وقفا عليكما وحدكما حتى تستاثرابه .. وإنما هناك فتاتان صغيرتان يا مدام " امبرفال " .. وما دامت الاقدار قد هياتني لهما ووضعتني في طريقهما فساقحم نفسي في تيار هذه الوقائع واعمل مافيه خيرهما وما يقتضيه الدفاع عنهما، ولو تفوهت يامدام "امبرفال" بكلمة واحدة فوق ما ينبغي او حدث اقل خطا لاصاب ، الفتاتين اذى بليغ .. لاحت على وجه مدام " امبرفال"امارات التاثر حين جاء ذكر الفتاتين ، وانشات تبكي .. اما " جرمين استنج " فقد هزت كتفيها وبدرت منها حركة تدل على رغبتها في الخروج ،، لكن " رينين" اعترض سبيلها قائلا :

- إلى اين تقصدين ؟

- فاجابته قائلة :

- لقد استدعاني قاضي التحقيق .

- كلا ..

- بل لقد استدعاني في جملة الذين استدعوا لأداء الشهادة .

- إنك لم تكوني حاضرة وقت وقوع الجريمة .ولا تعرفين شيئا مما وقع بل ليس هناك من يعرف شيئا عن هذه الجريمة .

فهتفت المراة قائلة :

- بل إنني أعرف مرتكبها ..

- محال ...

فقالت المراة في لهجة الجزم واليقين

- بل اعرف ذلك .. فهي " تيريز امبرفال" .

فاهت بهذا الاتهام الصريح في نوبة غضب مفاجىء .وقد شفعت عبارتها بحركة تهديدية من يدها .

- فصاحب مدام " امبرفال ":

- ايتها الشقية .. اذهبي من هنا .. اغربي عني ..

- يالك من امراة شريرة .

فحاولت " هورتنس" أن تهدىء من روعها ، لكن " رينين" همس إليها قائلا:

- بل دعيها .. فهذا ماكنت ارمي إليه . اردت أن أواجه كلا منهما بالاخرى حتى تظهر الحقيقة .. وراحت مدام " استنج " ترتجف بتاثير ما وجه إليها من الإهانة فهتفت بدورها قائلة :

- انا شقية .. ولماذا ؟ الأني اتهمتك علناً ؟.

فصاحت مدام "امبرفال" قائلة :

- بل انت شقية على طول الخط .. هل تسمعين يا "جرمين" انت شقية. واستمرت مدام "امبرفال" تنهال عليها بالفاظ الشتم والإهانة حتى هدات قليلا سورة الغضب التي استولت عليها .. أو ربما لم تجد لديها القوة الكافية للإمعان في خطتها .. فلما امسكت ، راحت مدام " استنج " تثير الشجار من جديد واخذت تلوح بقبضة يدها مهددة . بينما تقلصت عضلات وجهها . فبدت كانها عجوز تزيد على سنها الحقيقي عشرين عاما وانشات تخاطب مدام

امبرفال" قائلة :

- انت ! .. انت تجرئين على إهانتي ! .. بعد ان ارتكبت جريمتك اتجسرين على رفع راسك ولم يزل ذلك الرجل الذي اغتلت حياته ملقى على فراش الموت ؟ .. لو كان لابد من نعت إحدانا بانها شقية.فليس إلاك .. نعم انت .. الشقية يا " تيريز " .. يا قاتلة زوجها ..

وتاججت نيران الغضب في صدرها وهي تتفوه بهذه الكلمات القاسية التي راحت تقذفها قذفا في وجه صاحبتها .. وبسطت يدها تحاول لطمها حتى مست اظفارها وجه مدام " امبرفال" ، واستطردت تقول هادرة :

- لا تنكري انك قاتلة زوجك لا تحاولي الإنكار . إن الخنجر لايزال هناك في حقيبة يدك . وقد لمسه اخي بيده وهو يحدثك . بل لقد دس يده في الحقيبة ولمسه فخضبت الدماء اطراف اصابعه . نعم دماء زوجك يا "تيريز" . وإذا فرض انني لم اتوصل بنفسي إلى حقيقة الامر، فهل حسبت ان مسالة كهذه تخفى علي ؟ . اؤكد لك ان مجرد سماعي نبا الجريمة كان يكفي إذ ذاك لكي استنتج منه الحقيقة . لقد عرفت كل شيء يا تيريز" . ولما اجابني البحار حين سالته عن سبب احتشاد الجمع خارج المنزل بان المسيو " امبرفال" قد قتل . قلت لنفسي على الفور : بان " تيريز " هي قاتلته :

كانت " تيريز " تسمع كل هذه الاتهامات دون ان تنبس بكلمة واحدة . بل لم تبدر منها ادنى حركة تدل على احتجاجها ، وخيل إلى "هورتنس" ان هذه المراة قد تردت في هوة لاخلاص لها منها وانها تشعر بياس مطبق ياخذ عليها ابواب النجاة ، ولقد تجلت دلائل الحزن البالغ والالم العميق على صفحة وجهها باجلى معانيها حتى لقد رقت " هورتنس " لحالها وانشات تستحثها للدفاع عن نفسها قائلة :

- اوضحي كل شيء.ارجو ان تتكلمي . لقد كنت هنا في المنزل في اثناء وقوع الجريمة . وقد شاهدتك في الشرفة. فكيف وصل إليك هذاالخنجر ؟. افصحي. فقالت " جرمين استنتج "متهكمة :

- اتطلبين منها إيضاحا ؟ وهل تقوى على ذلك ؟ إن المظاهرالسطحية لا تجدي فتيلا ، وهل تحسبين ان مشاهدتك لها قد تنفي عنها الجريمة ؟ إن الحقيقة الثابتة التي لا تجدي معها مواراة او إنكار ان الخنجرهنا في حقيبة يدها ، نعم يا تيريز " انت القاتلة . اواه ، كم قلت لاخي من قبل إنك سوف تقتلين زوجك ، لكن " فردريك " كان يحاول الدفاع عنك ، لانه يحبك ويعطف عليك ، ومع ذلك فقد كان يتوقع هذه الجريمة ، وها هو ذا المحظور قد وقع حقا ، وقد وقع بطعنة خنجر في الظهر ، ياللجبن ، وياللنذالة ، ولم نقل في اول الأمرشيئا انا اوفردريك " لكننارحنا نفتش عن ادلة جرمك حتى اهتدينا إليها، وسنكشف عن حقيقتك ، ونهتك سرك ، والآن لقد قضي الامر يا تيريز " ، وليس لديك اقل امل في النجاة ، فالخنجر في حقيبة يدك ، تلك الحقيبة التي اراك الآن تقبضين عليها وتشددين القبض . سيعود القاضي بعد قليل فيجد الخنجر في الحقيبة وعليه آثار الدماء دماء زوجك الصريع. وسوف يجد كذلك حافظة او راقه بما تتضمن من الوثائق والمستندات .. واشتد بها الانفعال واحتقن وجهها حتى لم تستطع ان تستمر في حديثها. اما "رينين" فقد بسط يده متمهلا وامسك بحقيبة " تيريز امبرفال " لكنها لم تلبث ان جذبتها بعيدا عنه .. فخاطبها قائلا :

- دعيني اتصرف تصرفا معقولا يا سيدتي .. إن صديقتك جرمين " محقة فيماتذهب إليه . فسوف يحضر قاضي التحقيق بعد قليل ، ولو عثر على الخنجر في حقيبتك فإنه يصدرامره باعتقالك على الفور ، ينبغي إذن الا يبقى هذا الخنجر هنا ، وارجو ان تدعيني اتصرف بما فيه مصلحتك . وقد كانت نبرات صوته مفعمة رقة حتى لقد تشجعت " تيريز " وكفت عن إحجامها.وتخلت عن الحقيبة آخر الامر فتناولها وفتحها وإذا هو يستخرج منها خنجرا صغيرا .. وحافظة اوراق رمادية اللون . فدس "رينين"الخنجر والحافظة في جيب سترته الداخلي بهدوء .. على حين كانت "جرمين " تراقبه وقد استولى عليها الذهول .. وما لبثت ان قالت :

- هل جننت يا سيدي ؟ . باي حق تستولي على هذه الأشياء ؟.
فاجاب " رينين" بهدوء قائلا :
- هذه هي الوسيلة الوحيدة التي اطمئن بها على هذه الادوات..فإنني موقن ان القاضي لن يفتش عنها في جيبي . فجابهته " جرمين " قائلة :
- لكني ساطلعه على ذلك ايها السيد . فضحك " رينين " وقال :
- كلا . كلا . إنك لن تقولي شيئا . إذ لادخل للعدالة في هذه الشؤون .. وان مابين شخصيكما من خلاف يسوى بينكما فقط . لاحق لك في ان تقحمي القضاء في مسائل الحياة العامة او الخاصة .. فاهتاجت مدام "استنج " وراحت تقول محتدة .
- ولكن باي حق تتحدث على هذاالنحو ؟ . من انت ؟.. هل انت صديق لهذه المراة ؟
- نعم . إنني صديقها . وقد بدات هذه الصداقة منذ ان اخذت في مهاجمتها .
- إذا كنت اهاجمها فلانها جانية . ولا يسعك ان تنكر انها قد اغتالت زوجها.
فقال "رينين " وقد لاحت عليه امارات التماسك والهدوء :
- انالا انكر ذلك ونحن متفقون جميعا على ان "جاك امبرفال " قد قتل بيد زوجته لكن اكرر لك انه لا مناص من الحيلولة بين العدالة وبين هذا الشان . - لكني ساتكفل بان اجعل العدالة تاخذ مجراها واقسم لك على صدق هذا العزم . فإنه لابد من عقاب هذه المراة جزاء ما سفكت يداها من الدم المهدور . فدنا منها "رينين "ولمس كتفها ثم خاطبها قائلا :
- لقد سالتني منذ هنيهة باي حق اتدخل ؟ فهل لي الآن ان القي عليك هذا السؤال بعينه ؟ . فاجابته قائلة :
- لقد كنت صديقة " جاك امبرفال " . فقال " رينين" :
- صديقته فقط ؟ فلم يرق في عينيها هذا السؤال وتجاهلته .
واجتزات بهذه العبارة :
- لقد كنت صديقته ، ومن دواعي البر بهذه الصداقة ان انتقم

لمصرعه

- بل تلزمين الصمت كما لزمه " امبرفال ".

- إنه لم يعرف الحقيقة وقت ان فاضت روحه .

- هذا خطا ووهم بين . فقد كان في وسعه ان يتهم زوجته . وكان لديه وقت كاف لذلك . لكنه لم يقل شيئا .

- وماذا حمله علي السكوت ؟

- لقد سكت من اجل فتاتيه .

لكن مدام " استنج " لم تشا ان تلقي سلاحها .. وبدا في عينيها عزم راسخ على الانتقام .. على انها مع ذلك باتت تخشى " رينين.." وقد اصبح يسيطر بشخصيته القوية على هذا المحيط المكهرب المفعم بالحفيظة والرغبة في الثار.

ورات " جرمين " آخر الامر مدام " امبرفال" قد انتعشت آمالها لوجود هذا العضد القوي الذي هبط عليها وهي توشك ان تتردى في الهاوية .

والحق لقد قالت " تيريز " :

- كم اشكرك ياسيدي من كل قلبي . فإنك تدرك جيدا انني لم اشا ان اسلم نفسي إلى العدالة بسبب فتاتي .. وإلا لما ترددت في ذلك لحظة واحدة . فإنني قد بدات اشعر بالكلل والياس .

وهكذا تغير الموقف وانقلب الوضع على اثر عبارات فاه بها رينين" فإن الجانية اخذت ترفع راسها وتتمالك جاشها . بينما انكمشت "جرمين" وكفت عن الاتهام . وقال " رينين" يخاطب مدام امبرفال " في لهجة رقيقة :

- والآن . احسب ان في وسعك ان تفسري لنا كل شيء فقالت مدام "امبرفال" :

- نعم . نعم في وسعي ان ارد على اتهامات هذه المراة . وان اقرر الحقيقة مجردة من كل زيف او تشويه . اليس كذلك ؟ .

وتهالكت فوق احد المقاعد ، وقد اخذت الدموع تنحدر من عينيها. ولاحت على وجهها سمات الالم البالغ . ولكنه الم مجرد من شوائب الحقد والضغينة . وانشات تسرد قصتها قائلة :

- إن هذه المراة عشيقة زوجي . وقد انقضت اربعة اعوام على هذه العلاقة قاسيت في اثنائها امر الآلام .. ولقد جرؤت هذه المراة على ان تكشف لي بنفسها عن هذه العلاقة الآثمة .. وكان بغضها لي يفوق ما تكن من عشق لزوجي .

وقد راحت كل يوم تحاول إثارتي واستفزازي ، فكانت تحدثني بالتليفون عما يقع بينهما من مقابلات .. حتى تضاعف من المي وتزيد في ياسي . فتدفعني بذلك إلى الانتحار كمداً وغما .

والحق لقد خطر ببالي الانتحار اكثر من مرة ، لكنني كنت ابعد هذه الفكرة من ذهني من اجل ابنتي . اما "جاك" فكان اطوع لها من البنان . لا يكاد يعصي لها امرا . حتى لقد طلبت منه ان يطلقني ..

ولقد انصاع " جاك"لهذه الفكرة تحت إلحاحها هي وشقيقها . كنت على علم بكل هذه الدسائس التي تحاك حولي . والمس آثارها فيما يبديه " جاك" نحوي من غلظة في المعاملة وقسوة تفعم نفسي اسى وهما . لكنه لم يانس من نفسه مع ذلك شجاعة للإ قدام على الطلاق . وهكذا وكنت عقبة في طريقه . رحماك ياربي . هل قاسى احد مثلما قاسيت في هذه الدنيا من الآلم والعذاب ؟ "

فهتفت "جرمين استنج" قائلة :

- كان في وسعك ان تحرريه من قيود هذا الزواج . ولا يجوز أن تقتلي رجلا لكونه يرغب في طلاقك .

فهزت " تيريز ؛ راسها وقالت :

- إنني لم اقتله بسبب رغبته في الطلاق . فلو انه كان يهم به حقا لما تردد في الانفصال والرحيل . وهل كان في وسعي ان افعل شيئا لو انه اقدم على ذلك حقا ؟.

لكن مطامعك قد تشعبت يا "جرمين " ولم تقف عند حد . واصبحت تتطلعين انت وشقيقك إلى ما هو اكثر من الطلاق . وقد خضع لكما "جاك"جبنا منه وقسرا عنه .

فتمتمت " جرمين" في صوت متهافت قائلة :

-ماذا تعنين ؟ ماذا تقصدين بهذا القول ؟

فصاحت "تيريز " قائلة :

- لقد كنتما تتامران على حياتي وتدبران التخلص مني ..
فاجابتها مدام "استنج" في صوت حاد قائلة :

- بل انت كاذبة . ولكن " تيريز " لم تتغير لهجتها ولم تات بحركة تنفي بها هذا التكذيب وإنما استطردت تقول في سهولة :

- نعم لقد كنت تدبرين موتي يا " جرمين " .. لقد وقعت في يدي رسائلك الأخيرة إليه ، وهي ست رسائل نسيها الشقي في جيبه . نعم لم يرد فيها ذكر هذه الكلمة الرهيبة .. كلمة الموت .. لكن كان خيالها يطل من بين السطور كالصبح لذي عينين

لقد طالعت تلك الرسائل وانا ارتجف من فرط التهيج والانفعال . ومع ذلك فلم يخطر ببالي قط ان اثار منه او اقضي عليه .. إن امراة مثلي يا "جرمين" لاتقتل بمحض اختيارها . وإنما تقدم على ذلك في ساعة جنون.. فإذا كنت قد اقترفت هذه الجريمة ، فقد اقترفتها بعد أن طفح الكيل .. وبسببك انت ...

وانثنت إلى " رينين" كانما تسأله إن كانت تؤاخذ على هذا القول. لكنه اوما لها يطمئنها ويشجعها على الاستمرار في سرد قصتها . فاخفت وجهها بين راحتيها كانما تحجب عن ناظريها مشهدا رهيبا ارتسم أمام بصرها فملأ نفسها رعبا وجزعا .أما "جرمين استنج" فقد جلست في موضعها لا تبدي حراكاً بينما كانت "هورتنس " تضطرم لهفة للوقوف على تفاصيل الجريمة والإلمام بخفاياها .

استطردت " تيريز " قائلة :

- لقد اعدت الرسائل المذكورة إلى حافظة اوراق زوجي .. ولم اتفوه امامه بكلمة واحدة او ابد اقل إشارة تدل على وقوفي على حقيقة ما يبيت ضدي . ومع ذلك فقد كان يتحتم علي أن اعجل بعمل حاسم لأن رسائل " جرمين" كانت تنبئ بقرب قدومها سرا إلى هنا في هذا اليوم . وقد خطر بذهني اول الأمر ان استقل القطار وانجو بحياتي .... ودفعتني غريزة التعلق بالحياة إلى ان اتناول هذا الخنجر حتى ادافع به عن نفسي إذا ارغمتني الظروف على ذلك . على اننا ماكدنا ناتي إلى هذا المصيف حتى ارتضيت الموت وفضلته على هذا الكابوس الثقيل الذي كنت ارزح تحت اعبائه .

ومع ذلك فقد ارتايت من اجل فتاتي ان يبدو موتي طبيعيا حتى لايتهم زوجي . لذلك وجدت في تلك الفكرة التي رسمتها يا " جرمين فكرة القيام بنزهة على صخرة " ماتيلدا" ، وجدت فيها ما يحقق غايتي وغايتك معا . فإن زلة القدم والسقوط من فوق هذه الصخرة هو امر مالوف لايثير شكا وهكذا غادرني " جاك" وقصد إلى الكابين ، وفي نيته ان يلحق بي عند صخرة " ماتيلدا " كما تم الاتفاق بيننا.

ولكن حدث اثناء سيره إلى الكابين ان سقط منه المفتاح . فلحقت به لكي اساعده في التفتيش عنه . وإذ ذاك فقط يا "جرمين.." وبسببك انت . بل بسبب تصرفك . فكرت في ارتكاب هذه الجريمة . ذلك ان "جاك" ما كاد ينحني للبحث عن المفتاح بين رمال الشاطيء وهو إلى جانبي ، حتى سقطت حافظة اوراقه دون ان يفطن إليها .

ولقد سقطت مع الحافظة صورة فوتوغرافية عرفتها في الحال . فهي صورة يرجع تاريخها إلى هذه السنة فقط وهي تمثلني مع فتاتي الصغيرتين .

إنك يا "جرمين" اكثر من يعرف ماذا رايت في هذه الصورة .. فإنك قد نزعت رسمي منها واحللت رسمك مكانه .. رايت أمامي وجهك يا "جرمين" وكانت إحدى ذراعيك تلتف حول عنق ابنتي الكبرى اما ذراعك الأخرى فقد كانت مدلاة في حجرك . إنك كنت يا "جرمين " .. امراة زوجي .والأم المستقبلة لابنتي الصغيرتين .. وإنك ستتولين تربيتهما .

ويحك يا "جرمين" .. لماذا تعجلت الحوادث على هذا النحو ؟ الم يكن في وسعك ان تعتصمي بحبل الصبر والانتظار ؟ لماذا أحدثت في الصورة مثل هذا التبديل ؟ لقد كان مشهدها كافيا لكي يفقدني صوابي ويخرجني عن حالتي الطبيعية .. وكان الخنجر معي .. ورايت "جاك" منحنيا .. فلم اتمالك نفسي فاغمدته في ظهره

ادلت " تيريز " بهذه الاعترافات في نبرات تشف عن الصدق . واحس "رينين " و" هورتنس " بتاثر بالغ لم يانسا مثله من قبل ،

فقد كانت هذه اول مرة يسمعان فيها مثل هذه التفصيلات من فم صاحبتها .

اما " تيريز " فقد خارت قواها اوكادت .. واخذت تهذي بكلام مختلف فهموا منه هذه العبارات :

- خيل إلي إذ ذاك ان اصوات الاستغاثة والاستنكار لا تلبث ان تتصاعد من حولي ، وانه سيقبض علي من فوري .. لكن لم يقع شيء مماكنت اتصور .. فقد حدث القتل في ظرف فجائي لم يكن احد يتوقعه .. وانتصب "جاك" حينما اعتدلت ، دون ان يخر على الرمال صريعا .

اجل لم يسقط " جاك" . لم يسقط بل استوى على قدميه رغم تلك الطعنة التي اصبته بها في ظهره . ولما وقفت لحظة على سلم الكازينو ارقب ما يجري . شاهدته يضع سترته فوق كتفه لكي يخفي وراءها جرحه بلا ريب .. وانشا يتقدم إلى الكابين في إبطاء يسير. كنت الاحظه دون الناس جميعا . لقد تبادل حديثا موجزا مع بعض المعارف ممن كانوا يلعبون الورق . ولم يلبث ان سار راسا إلى الكابين واختفى بداخله .. اما انا فقد عدت إلى منزلي بعد فترة وجيزة .. وقد خيل إلي ان ما وقع ليس إلا حلما مزعجا او كابوسا ثقيلا .. وإنني لم اقترف جريمة القتل حقا .. او على الاقل إن الجرح الذي احدثته الطعنة هو جرح طفيف .. وان "جاك" لا يلبث ان يخرج .

ولقد ساورتني في ذلك ثقة بالغة سيطرت على شعوري حتى لقد وقفت في الشرفة فترة طويلة ارقب ما يجري ، ولو خطر ببالي لحظة واحدة . انه في حاجة إلى المعونة لما ترددت في الذهاب إليه وإغاثته . لكني لم اعد افهم ما يجري، . فقد خرجت الامورمن يدي . ولم اقف على الحقيقة إلا .. وخنقها البكاء حتى لم تستطع ان تكمل عبارتها . فتولى عنها الحديث " رينين" قائلا :

- إلا حين اقبل الناس لإخطارك بالفاجعة .

فقالت " تيريز " :

-هو ذاك .. وهناك فقط ادركت حقيقة ما ارتكبت يداي من الجرم

الشنيع وشعرت باني اكاد افقد صوابي واني اكاد اصيح في الناس قائلة :

انا القاتلة .. فلا تكلفوا انفسكم عناء البحث وهاكم الخنجر الذي ارتكبت به الجناية .. نعم انا القاتلة .. كدت اصيح على مسمع من الناس بهذه الاقوال.. وإذا ذاك رايت "جاك" التعس .. زوجي القتيل .. محمولا على الاعناق .. كانت تلوح على صفحة وجهه امارات السكينة وراحة النفس . وعند ئذ فقط ادركت واجبي .. فقد سكت "جاك" ولزم الصمت ، حتى فاضت روحه .. من اجل الابنتين . هناك حدثتني نفسي ان اسكت كذلك والا اتفوه بحرف واحد عن الحقيقة .. وإذا كان قد ادرك واجبه في فترة احتضاره ، وقدر خطورة الموقف ، واثران يغلق عليه باب الكابين ، وان يلفظ انفاسه الاخيرة في سكون ، فقد كان يضرب لي بذلك القدوة المثلى ويامرني بالسكوت والدفاع عن نفسي ضد كل العوامل المحيطة بي . وضدك انت يا " جرمين " .

تفوهت "تيريز" بهذه العبارة في رباطة جاش . فقد رات بعد ان انجلت عنها غمرة الجريمة وثابت إلى رشدها ان عليها واجبا نحو ابنتيها .. وصممت على النضال والمقاومة امام هذه المراة التي انتزعت منها زوجها وكانت تدبر قتلها . وامتلأت نفسها إرادة قوية وعزما راسخا .اما "جرمين استنج " فقد ظلت طوال هذا الحديث صامتة لا تنبس بحرف واحد . على انه لم يبد على وجهها ما ينم عن تاثرها او شعورها بشيء من وخز الضمير. ولم تلبث آخرالأمر أن ارتسمت على محياها ابتسامة ساخرة ، كانما افعمت نفسها جذلا بما تطورت إليه الامور. ولا غرو فقد اصبحت غريمتها تحت رحمتها واخيرا تناولت " جرمين : قبعتها ، ونظرت في مراة واصلحت من هندامها، ثم اتجهت إلى الباب تهم بالخروج . فاسرعت إليها "تيريز " تعترض طريقها قائلة :

- إلى اين تقصدين ؟
- إلى حيث اشاء .
- اتذهبين لمقابلة قاضي التحقيق ؟

- ربما .
- إذن فلن ادعك تخرجين من هنا ..
- حسنا .. إذن فسابقى ..
- وستطلعينه على ما وقفت عليه من البيانات؟
- بالتاكيد .. ساقص عليه كل ما سربته الآن .. فقد سمعت منك كل ما يجب الوقوف عليه .. هنالك قبضت عليها " تيريز " من كتفيها وراحت تهزها وهي تقول:
- بل ساقدم له طائفة من البيانات تتصل بك يا "جرمين " .. وإذا ضاع كل امل في نجاتي فلن ادعك تفلتين بجلدك .
- لايمكنك ان تفعلي شيئا ضدي .
- بل في وسعي ان ابرز رسائلك وان اتهمك بما جاء فيها .
- اية رسائل ؟
- الرسائل التي تحرض على قتلي والتخلص مني ...
- هذا كذب وبهتان .. فإنك تعرفين "ياتيريز " ان هذه المؤامرة التي تشيرين إليها لااساس لها إلا في مخيلتك .. فلم افكر انا او "جاك" في موتك ..
- بل كنت تدبرين موتي .. ورسائلك ابلغ شاهد عليك ...
- هذا إفك وتضليل .. فلم تكن تلك الرسائل سوى مكاتبات بين صديقين ... - بل رسائل عشيقة .. وشريكة ضالعة في المؤامرة ..
- اثبتي ذلك ..
- إن الرسائل هنا . في حافظة أوراق "جاك".
- كلا .
- ماذا تقولين ؟
- اقول إن هذه الرسائل تتعلق بي، ولذلك استرددتها .. او على الأصح استردها اخي .
- إذن لقد سرقتها ايتها الشريرة . لكنك ستردينها إلي . وارتمت "تيريز" بجسمها عليها .. لكن "جرمين" قالت وهي تبتسم ابتسامة الظفر :
- إن الرسائل ليست معي .. فقد حملها اخي ..

- لابد ان يردها إلي إذن ..
- لقد ارتحل وغادر هذه البقاع ..
- سوف اهتدي إلى مكانه .
- نعم إن الاهتداء إليه امر يسير .. لكنه لن يمكنك من العثور على الرسائل.. فما اهون تمزيقها وإعدامها . فاستولى الياس على تيريز " .. فلم تدر ماذا تفعل .. وبسطت يديها إلى " رينين"تلتمس العون .

فقال :

- لقد قررت الحقيقة . فقد راقبتها و شقيقها وشاهدتهما ، يستلان حافظة الأوراق من الحقيبة ويفحصان محتوياتها ، ولم يلبث اخوها ان اعاد الحافظة إلى موضعها بعد ان اخذ منها الرسائل ، ثم انصرف إلى الخارج . وسكت "رينين" هنيهة ثم استطرد قائلا :

- أو على الأصح إنه انصرف وهو يحمل خمس رسائل فقط .نطق رينين " بهذه العبارة وهو يتصنع عدم الاكتراث ، بيد انه راح يراقب عن كثب تاثيرها في نفس المراتين .. وهنا دنت كلتاهما منه وقد نمت نظراتهما عن الاستفسار عن مصير الرسالة السادسة . فقال " رينين" :

- يلوح لي انه حينما سقطت حافظة اوراق " جاك امبرفال" فوق الرمال سقطت معها الرسالة السادسة والصورة الفوتوغرافية .. ولكن المسيو "امبرفال " لم يفطن لغير الرسالة فتناولها ووضعها في جيبه . فهتفت " جرمين" قائلة وقد اشتد اهتمامها :

- انت على يقين مما تقول ؟

- نعم . فقد عثرت على هذه الرسالة في جيب سترته وهي معلقة بجانبه على فراش الموت .. وها هي ذي الرسالة موقعة بإمضاء جرمين استنج ".. وهي بما تتضمن من إرشادات موجهة إلى العشيق بشان ارتكاب الجريمة - تقوم دليلا قويا على إثبات نية القتل. والحق انني عجبت كيف تقدم مخلوقة اوتيت حظا من الفطنة والذكاء على مثل هذا التهور الذي يشف عن إهمال بين ؟! استولى الياس على مدام " استنج " واسقط في يدها ، حتى انها لم تحاول ان تدافع عن نفسها ، بينما استطرد " رينين" يوجه حديثه إليها قائلا :

- في يقيني يا سيدتي انك مسؤولة عن كل ما وقع ... فإنك حينما الفيت نفسك خالية الوفاض فكرت في استغلال غرام "جاك امبرفال" بك وذلك بمحاولة الاقتران به برغم جميع العقبات التي كانت تحول بينكما . وبهذا تستولين على ثروته وتتصرفين فيها كما يشاء لك الهوى .. إن معي الدليل على ذلك وفي إمكاني أن ابرزه .. ولقد قمت انت بتفتيش سترة " جاك" بعد ان اتممت بحثي ببضع دقائق .. ولقد تركت لك - بعد أن سبقتك واستوليت على الرسالة السادسة - تركت لك ورقة صغيرة كنت تبحثين عنها كذلك باهتمام لانها سقطت من الحافظة .. وهي عبارة عن شيك بمبلغ ١٠٠ الف فرنك حرره "جاك امبرفال" باسم شقيقك . وهو هدية قدمها "جاك" بمناسبة عزمه على الزواج بك . وإذن فقد وقع الشيك في يدك وسلمته لشقيقك .وقد انطلق في سيارة إلى (الهافر)بناء على إرشادك ليستولي على المبلغ من المصرف . لكني أحب ان أخبرك انه لن ينال فرنكا واحدا من هذا المبلغ فإنني اخطرت المصرف تليفونيا بمقتل المسيو "جاك امبرفال" وبوقف صرف أي شيك يقدم باسمه ... كما اقرر لك كذلك اننا سمعنا المحادثة التليفونية التي جرت بينك و بين شقيقك في الاسبوع الماضي باللغة الإسبانية . ومن هذا يتضح لك اننا مطلعون على كافة الظروف التي تقترن بهذه القضية .. اليس كذلك ؟

كان " رينين" يلقي حديثه في لهجة الواثق المطمئن إلى انه لا معقب على قوله . وقد راح يصف الحوادث كما وقعت حقا وينتهي إلى نتائجها المحتومة .. فلم يكن هناك غير الخضوع لرايه والاستسلام لما يشير به . فهمت مدام " استنج " كل هذا ولم يغب عنها معناه الحقيقي .. فإن امراة ذكية تدرك جيدا ان من الخير لها ان تحني راسها و قت هبوب العاصفة ، وإلا اجتاحتها إذا اعترضت طريقها .. وإذن فقد وقفت بين يديه في خضوع واستسلام وقالت :

- إذن فبماذا تشير علي ؟
- غادري هذه النواحي ...
-وإذا طلبت لأداء الشهادة ؟

-لن يهتم احد بطلبك .
- ولكن .. إذا فرض انني دعيت ؟
- قولي إنك لاتعرفين شيئا .
فاتجهت إلى الباب . على انها لم تلبث ان وقفت قائلة :
- والشيك ؟
فهتفت مدام " امبرفال" قائلة :
- لتاخذه .. فانا لا اريد هذه النقود . ولم يلبث " رينين" ان لقن مدام "امبرفال" الاقوال التي ستدلي بها امام قاضي التحقيق .. ثم غادر المنزل بصحبة " هورتنس" . وقد كان قاضي التحقيق ووكيل النيابة على الشاطىء يقومان بالتحقيق والاستجواب . وقالت هورتنس" تخاطب " رينين":
- إنني لا املك إلا ان ارتاع كلما فكرت انك تحمل في جيبك الخنجر الذي قتل به " امبرفال" وكذلك حافظة نقوده .
فضحك "رينين" واجابها قائلا :
- وما الذي يخيفك ؟ اتحسبين في هذا اي خطر. إنني لا ارى في هذا ما يوجب القلق .
- الا تشعر بخوف ؟
- ومم اخاف ؟
- الا تخشى ان يرتاب احد في ظروف القضية ؟
- نعم .. لن يشك احد في شيء . إننا سنتقدم للشهادة . فنقرر اننا قد شاهدنا " امبرفال" فعلا حينما كنا جالسين في الشرفة ... ولن يكون من نتيجة هذه الشهادة سوى مضاعفة حيرة المحققين ... على انه يحسن بنا الا نغادر هذه البلدة في الحال ، وإنما نقضي فيها يومين او ثلاثة ... إن لك ان تطمئني وتنفي من ذهنك كل اسباب القلق .. فقد سوينا كافة الظروف ولن يستطيع احدان يهتدي إلى الحقيقة ...
- إنني ارى رغم ذلك انك قد ادركت كل شيء كما في الواقع منذ البداية .
- نعم و هذا هو الوضع الصحيح للقضية . لقد دخل الرجل إلى

الكابين واغلق الباب عليه ثم وجد مقتولا. فما الذي وقع حقا؟ . لو كنت اقوم بالتحقيق في القضية لادركت على الفور أن الجناية لم ترتكب في داخل الكابين كما يظن ... وانه لابد ان يكون الرجل قد اصيب بالطعنة القاتلة قبل دخوله الكابين .. وهذا هو ما استنتجته على الفور... فقد ايقنت ان مدام "امبرفال" التي قضي عليها بالموت في هذا اليوم قد استبقت الحوادث ... وانها قتلت زوجها حينما كان منحنيا يفتش عن المفتاح بين رمال الشاطىء... قتلته في نوبة جنون عارض استولت عليها فجاة وافقدتها الرشد . فلم يبق علي إذن إلا ان ابحث عن سبب الجريمة .. فلما وفقت إليه تدخلت في الامر على النحو الذي رايت ... هذه هي القضية بحذافيرها ..

كان الليل قد بدأ يرخي سدوله على هذه البقعة الجميلة التي سفك الدم بين جوانبها . وخيم الصمت على "رينين" و"هورتنس"فترة وجيزة قطعه "رينين"بقوله :

- فيم تفكرين ؟

فاجابته قائلة :

-إذا قدر لي يوما ان اقع فريسة لمؤامرة ما فلن يخالجني ادنى ريب في انك ستحميني بسلطانك القوي وتدفع عني كل سوء ، مهما قام في سبيلك من العراقيل والعقبات .. نعم إنه ليس هناك حد لإرادتك .

فاجابها "رينين" في صوت خافت قائلا :

- بل ليس هناك حد لرغبتي في العمل على ما فيه رضاك .

-٣-

الشريط الفاضح

قال "سيرج رينين" :

- انظري يا " هورتنس" إلى الذي يقوم بدور رئيس الخدم ...

فقالت " هورتنس" :

- وماذا فيه مما يلفت النظر ؟

جرت هذه المناقشة بين " رينين" و "هورتنس" في إحدى دور السينما حيث رغبت إليه ان يتوجها لمشاهدة رواية تروقها .

وكانت الممثلة الاولى في هذه الرواية تدعى "روز اندريه " ، وهي اخت " هورتنس" من والدها . وقد وقع خلاف بين الاختين طال امده حتى انهما لم تتراسلا عدة اعوام . وكانت " روزاندريه " بارعة الجمال ، احترفت التمثيل على المسرح فلما لم تظفر فيه بما تشتهي هجرته إلى السينما . وبدا نجمها يبزغ واخذ اسمها يتالق بين اسماء الكواكب والنجوم . وكان اسم فيلمها هذا المساء (الاميرة السعيدة) . لم يجب " رينين" على هذا السؤال الذي وجهته إليه " هورتنس" ، وإنما قال :

- إنني إذا ذهبت لمشاهدة رواية لا تقع من نفسي موقع القبول اخذت اتسلى في اثناء عرضها بمراقبة ممثلي الادوار الثانوية وهم يؤدون نصيبهم من القصة. وهذا ما جعلني اوجه عنايتي إلى الممثل الذي يقوم بدور رئيس الخدم . وكان مشهد الرواية في هذه الفترة يمثل مادبة حافلة ، وقد جلست (الاميرة السعيدة) على راس المائدة بين جمع من اصدقائها وصديقاتها . وراح يقوم على خدمتهم ستة من الخدم تحت إشراف رئيسهم ، وهو رجل ضخم الجثة كثيف شعر الحاجبين تشيع القسوة في ثنايا وجهه .

قالت "هورتنس " حينما وقع بصرها على رئيس الخدم :

- إن هيئته تنم عن الإجرام ... ماذا لفت نظرك في شكله ؟

فقال " رينين" :

-انظري كيف يصوب نظرته إلى اختك ... الاترين انه يطيل التحديق إليها اكثر مما يجب ؟

فقالت " هورتنس " وهي تعترض على هذه الفكرة :

-يخيل إلي حتى الآن ...

لكن البرنس " رينين" قاطعها قائلا :

-من الجلي انه يشعر نحو اختك في الحياة الخارجية بعاطفة لاتمت باقل سبب إلى الدور المجهول الذي يقوم به في هذه الرواية فإنه لا يفتا يصوب إليها نظرات غريبة كلما ظن ان زملاءه في القصة في شغل عنه بادوارهم وكلما وقف جامدا لا يعمل شيئا فتنم هذه النظرات عنه وتفضح سره ... راقبيه بعناية ... كانت الأميرة تشرب كاسا من الشراب وقد وقف رئيس الخدم في مكانه لايبدي حراكا . وجعل يحدق إليها بعينيه اللامعتين ...

وراى " رينين" و" هورتنس " انه قد صوب إليها هذه النظرات في مناسبتين مختلفتين من القصة ، فعزا " رينين" هذه النظرات إلى اسباب غرامية ، بينما راحت" هورتنس " تلتمس تعليلا لهذه الظاهرة فقالت :

– إن هذه طريقته الخاصة في النظر إلى أي فرد آخر من افراد الرواية . وانتهى القسم الأول من القصة وبدا عرض القسم الثاني وقد كتبت عنه فوق الستار الفضي هذه العبارة :

" مضى عام والأميرة السعيدة تقيم في منزل منعزل تحيط به المزروعات اليانعة ويقيم معها الموسيقي الفقير الذي اختارته زوجالها " .

كانت الأميرة سعيدة غاية السعادة بهذه الحياة الوادعة لكن المعجبين بجمالها الفتان وملاحتها الخلابة كانوا يتهافتون في طريقها ما بين راسمالي كبير وفلاح اجير ونبيل خطير وما من احد منهم إلا شغفه حسنها وودلو يظفر منها بنظرة عطف ...

وقد تفرد من بين اولئك المعجبين رجل يحمل (بلطة) ولا يفتا يدور حول منزل الاميرة كل يوم وقد بدا ان الاميرة في خطر من امر

هذا الرجل المريب

قال " رينين" :

- اتعرفين من هذا الرجل الذي يحمل البلطة ويخرج الآن من الغابة؟

- كلا .

-هو رئيس الخدم ..وقد اسند إليه هذا الدور بعد ان فرغ من القيام بشخصية رئيس الخدم في القسم الاول من القصة .

فصوبت " هورتنس"بصرها إلى هذا الممثل فادركت على الفور من ضخامة جسمه ومن حركاته انه رئيس الخدم حقا، برغم تلك اللحية التي كانت تحجب معالمه . وخرجت الأميرة من منزلها واختبأ الرجل بين الأشجار وكان يبدو على الستاربين الفينة والاخرى وقد تطايرالشرر من عينيه وهويلوح (بالبلطة) التي يحملها في يده ... وقالت :" هورتنس ":

- ويحه من رجل مخيف .. إنه يبعث الرعب في الحياة الخارجية وفوق الستار الفضي .

فقال " رينين" :

- نعم إنه مخيف لانه يمثل رواية اخرى مستقلة خاصة بشخصه.وفي وسعك ان تلاحظي ان غرامه قد ازداد وتضاعف في الفترة التي انقضت بين تمثيل القسم الأول والثاني وهي لاتتجاوز اربعة اشهر ... ولم تعد الممثلة امامه هي الأميرة وإنما اصبحت " روز اندريه " ...

ومرت الأميرة بين الأشجار ... وتحرك الرجل المتربص بها ... وخيل إليها انها سمعت صوتا ما فاخذت تتلفت حواليها والابتسامة لا تفارق شفتيها ... على انها لم تلبث ان ساورها القلق والتوجس حينما طرق سمعها اضطراب اغصان الأشجار وبرز امامها الرجل الكامن وجها لوجه .. ولقد بسط الرجل ذراعيه كانما يريد ان يضمها إلى صدره ..فهمت ان تصيح وتطلب النجدة لكن صوتها لم يخرج من حلقها ... واحتواها الرجل بين ذراعيه القويتين وهي لا تجرؤ على المقاومة .. ولم يلبث ان

حملها علي كتفه واخذ يعدوبها . قال " رينين" :

- هل اقتنعت الآن ؟ هل تعتقدين ان ممثلا ثانويا كهذا كان في وسعه أن يحمل الممثلة بمثل هذه السهولة لو انها كانت امراة اخرى غير "روز اندريه "؟.

وفي هذه الأثناءبلغ الرجل شاطيء النهرفوجد قاربا في انتظاره فوضع فيه جسم الأميرة التي غابت عن رشدها وفك الحبل الذي كان يربط القارب إلى شاطيء النهر ثم انشا يجدف مبتعدا إلى اعلى النهر .

وبدا للعيان ثانية وهو ينفذ إلى غابة سحيقة ، حيث قصد إلى كوخ تحيط به الأشجار ، لا يصل إليه الضوء إلا من خلال نافذة صغيرة ، ففتح بابه وانثنى إلى الداخل .. وتعاقبت بعد ذلك عدة مشاهد تبين هياج الزوج حين اكتشف غياب زوجته .. وذهابه للبحث عنها .. وعثوره على بعض اغصان حطمتها الاميرة في الطريق كي يسترشد بها الباحثون عنها ويهتدوا إلى مكانها ..

وتلا ذلك مشاهد النضال التي وقعت بين الأميرة والرجل المتوحش وهي تكاد تفقد قدرتها على المقاومة وتخور قواها .. ثم خرت على الأرض بعد ان تلاشت قواها .. وفي هذه اللحظة ظهرالزوج فجاة واطلق النار على الرجل الوحشي ..

* * *

كانت الساعة قد اذنت بالرابعة حينما خرج " رينين" و هورتنس " من دار السينما .. لكن "رينين" لم يستقل سيارته التي كانت تنتظر في الخارج وإنما امرالسائق ان يتبعهما في سيرهما. وقال "رينين" آخر الأمر وقد ساد سكون طويل انزعجت له "هورتنس ".

- هل تحبين اختك ؟

- نعم . إنني شديدة التعلق بها ..

- ومع ذلك فانتما على غير وفاق ..

- بل كان ذلك ايام زواجي .. فهي فتاة لعوب وكنت شديدة الغيرة.ولكن ما الباعث على هذا السؤال ؟

- لا ادري . ولكن يخيل إلي بعد مشاهدة هذه القصة .ان ذلك الرجل الذي قام بدور رئيس الخدم في القسم الأول ودور المتوحش في القسم الثاني هو شخص لا يستهان به . فقبضت هورتنس" على ذراعه وسالته قائلة :

- ماذا تعني بهذا القول ... افصح عن غرضك ..

فقال " رينين" :

-افرضي كل ما يحلو لك .. لكنني اميل إلى الاعتقاد بان اختك في خطر من هذا الرجل ..

- هذا مجرد افتراض ..

-لكنه فرض يستند إلى اسس قوية .. ففي يقيني ان مشهد الاختطاف الذي قام به لم يكن محض تمثيل .. ولكنه يكاد يقارب الحقيقة .. ولست اشك في انه لوقام باختطافها فعلا في الحياة الخارجية لما كان منظره في الاختطاف الحقيقي يختلف كثيرا عن تمثيله . نعم لقد قام بتمثيل دوره في حدوده المرسومة ولم يلحظ احد شيئا غير عادي . سوى " روز اندريه ".. لكنني لا اكتمك انني قد توسمت في عينيه من النظرات المفعمة بالرغبة الجامحة ما لا يمكن تجاهله اوإنكاره . كما لم تفتني حركات يديه المتاهبتين لارتكاب كل شيء .. ودلالات اخرى مختلفة تفضح نية الرجل الذي يضمر في نفسه اغتيال المراة التي عجز عن الاستحواذ عليها ..

فقالت " هورتنس" :

-ربما كان هذا الوصف ينطبق على الفترة التي مثلت فيها حوادث القصة.. اما الآن وقد انقضت عدة اشهر على ذلك فقد زال كل خطر .

- هو ما تقولين لكنني مع ذلك اود ان اقف على بعض البيانات في هذا الشان ؟

- ومن اين تستمد هذه البيانات ؟

- من (الشركة الدولية) التي قامت بإنتاج الرواية . هذا هو مقر إدارة الشركة ... هل لك ان تنتظري في السيارة ريثما اصعد لاداء هذه المهمة ثم ارجع إليك ؟ ونادى "رينين" كليمان " سائق السيارة ، ثم قصد إلى غايته . وجلست " هورتنس" في السيارة

وهي لا تشك ان تلك المظاهر الغرامية التي بدت في الرواية بلبل على كفاءة الممثل وبراعته في القيام بدوره ، ولايمكن ان تحمل على غير محملها العادي .. وكانت تميل في ضميرها إلى الاعتقاد بان "رينين" قد اسرف في خياله وتصوراته. ولما رجع إليها سالته قائلة :

- ماذا وراءك؟ هل اهتديت إلى شيء ؟هل توصلت إلى سرجديد ؟

فاجاب في هدوء قائلا :

-لقد وقفت على مافيه الكفاية .

فاضطربت لدى سماعها هذه العبارة . وقالت :

- ماذا ؟ ما الذي توصلت إليه.

فقال "رينين" وقد اخذ الكلام يتدافع من فيه :

- إن هذا الرجل يدعى "دالبريك" ، وهو مخلوق غريب الطباع يؤثر العزلة والابتعاد عن مخالطة زملائه .. ولم يستطع احد ان يلاحظ في اي وقت في اثناء تمثيل الرواية انه كان يهتم باختك اهتماما خاصا ...

ومع هذا فقد اعجب القوم ببراعته في تمثيل دوره في القسم الثاني من الرواية ، حتى انهم تعاقدوا معه على تمثيل رواية اخرى.جعل مسرحها في ضواحي "باريس" ... والجميع يمتدحون مقدرته ولا يكتمون إعجابهم به... لكن حادثا غريبا وقع في اثناء ذلك.ففي صبيحة يوم الجمعة الموافق ١٨ سبتمبر سرق هذا الرجل سيارة فخمة من جراج (شركة السينما الدولية) ... وكذلك مبلغ ٢٥ الف فرنك ... ولما ابلغ الخبر إلى رجال البوليس عثروا على السيارة في مدينة (دوريه) ...

انصتت "هورتنس " إلى هذه القصة وقد شحب لونها .فلما فرغ "رينين"من سردها قالت :

-لكن لا يوجد حتى الآن ادنى صلة بين هذه القصة وبين تلك الخطر الذي تزعم انه يتهدد اختي ..

- لقد استفسرت عن مصير اختك " روز اندريه " ، فعلمت انها قد سافرت في هذا الصيف إلى مقاطعة (اور) حيث قضت

خمسة عشر يوما في منزل تملكه هناك ، وهو نفس المنزل الذي تم فيه تمثيل رواية (الأميرة السعيدة) ...

واستدعيت بعد ذلك إلى امريكا حيث تعاقدوا معها ، فاضطرت إلى العودة إلى " باريس" حيث اودعت حقائبها محطة " سان لازار " وغادرتها في يوم الجمعة ١٨سبتمر وفي نيتها ان تقضي الليلة في ثغر " الهافر " . ثم تستقل الباخرة في اليوم التالي ، اي يوم السبت ، إلى امريكا. فتمتمت " هورتنس" قائلة :

- يوم الجمعة ١٨ سبتمبر ... يوافق نفس اليوم الذي سرق الرجل فيه سيارة الشركة واختفى .. الا يكون قد اختطفها ؟ ...

فقال " رينين" :

- سنعرف ذلك بعد قليل . وهتف بالسائق قائلا :

- " كليمان " .. سر بنا إلى شركة الملاحة (الاقيانوسية) .. ولقد صعدت " هورتنس" برفقة " رينين" إلى مكاتب الشركة المذكورة وطلبت إمدادها بمعلومات عن شقيقتها فوقفت على البيانات التالية :

حجزت حجرة خاصة على ظهر الباخرة (الإبروفانس) باسم "روزاندريه" لكن الباخرة سافرت إلى وجهتهادون ان تحضر المسافرة المذكورة . وفي نفس اليوم تلقت إدارة الشركة رسالة برقية مؤداها ان "روز اندريه " قد اضطرت إلى التخلف عن السفر على ظهر الباخرة (الإبروفانس) ، وطلبت حجز حقائبها في مخزن الشركة . وكانت هذه البرقية مرسلة من مدينة " دوريه".

زايلت "هورتنس" مقر الشركة وقد ساورها انزعاج شديد ... ولم يكن ممكنا ان تعزو هذه الوقائع كلها إلى المصادفة المحضة .ولا سيما بعد ان صحت استنتاجات " رينين" .وجلست " هورتنس " في السيارة صامتة وقد اطلقت العنان لأفكارها ولم تلبث آخر الأمر ان سمعت "رينين" يامر سائق السيارة بالاتجاه إلى دائرة البوليس . فشقت السيارة طريقها في قلب " باريس" . ثم وقفت امام دائرة البوليس . وغادرها بمفرده فترة ثم عاد إليها وقال وهو يفتح باب السيارة :

- تعالي ... فقالت " هورتنس " وقد بلغ الاهتمام منها غايته :

- ماذا جد من الامور ؟ هل طلبوا منك إجراءات معينة ؟

- كلا . كل ماهنا لك انني كنت ارغب في مقابلة المفتش موريسيه"، وهو الذي اوفدوه إلي في حادث "ديتريل"... وإذا كان عند رجل البوليس معلومات في هذا الصدد فسوف اقف عليها منه.

- إذن فلماذا تريد ان تصحبني ؟

- إن "موريسيه " يجلس الآن في مقهى صغير يطل على هذا الميدان. ولما بلغا ذلك المقهى بخلا إليه وكان مفتش البوليس جالساً هناك يقرا إحدى الصحف . فعرفهما في الحال .. شد "رينين" على يده وقال له بغير تمهيد : - لقد جئتك بقضية مهمة جديرة بان تبرز اسمك .. إنها قضية يحتمل ان تكون قد عرفت شيئا عنها .

- عن اية قضية تتحدث ؟!

- قضية " دالبريك" .. فظهرت على وجه "موريسيه" علامات الدهشة. وتردد اولا .. ثم قال في روية :

- نعم .. اعرف شيئا عن هذه القضية . فقد تحدثت عنها الصحف واشارت إلى سرقة سيارة .. ومبلغ خمسة وعشرين الف فرنك .

بيد ان الصحف ستتحدث غدا كذلك عن اكتشاف آخر ما وقفنا عليه في إدارة الامن العام . خاص بجريمة قتل ارتكبها " دالبريك" في العام الماضي . واحدثت في ذلك الوقت ضجة عظيمة . ،اعني بها جريمة قتل (بورجيه) تاجر الجواهر .

فقال " رينين" :

-إنني جئتك بصدد جريمة اخرى ارتكبها هذا الرجل .

- فهتف المفتش :

- جريمة اخرى ؟ ما هي ؟

-جريمة اختطاف ارتكبها في يوم السبت ١٩ سبتمبر .

- اه .. اعلمت كذلك بامر هذه الجريمة؟

- نعم .

فاطرق " موريسيه" براسه مفكرا ، ثم قال:

- في هذه الحالة يجب ان اصارحك بما اعلم . فقد حدث فعلا

في يوم السبت ١٩ سبتمبر . ان ثلاثة من الأشقياء ، انقضوا على إحدى السيدات في أحد الشوارع واختطفوها في رابعة النهار وفروا بها في سيارتهم باقصى سرعة .

وقد اشارت الصحف إلى هذا الحادث . ولكنها لم تذكر اسم السيدة ولا اوصاف خاطفيها . وهذا هو السبب في ان الحادث ظل محاطا بالغموض، ولكن اتفق انني قصدت امس إلى (الهافر) مع بعض رجالي . وهناك استطعت معرفة احد الأشقياء الثلاثة ... ومنه عرفت الحقيقة وهو ان مدبرسرقة السيارة ومبلغ الخمسة والعشرين الفا من الفرنكات واختطاف السيدة..هو "دالبريك".

اما السيدة التي اختطفت . فلم نعرف عنها شيئا . ولم نقف لها على اثر .. وقد ذهبت سدى جميع الجهود التي بذلنا ها لمعرفة مصيرها . او اي شيء عنها .

وخيم على الثلاثة سكون طويل وهم جلوس حول المائدة .. وجعلت "هورتنس" تصوب إلى " رينين" نظرات تنم عن الاستعطاف والابتهال ، وقد شحب لونها وبدت عليها امارات القلق والاضطراب .

قال " رينين" يسائل " موريسيه ":

– قلت إن الذين اختطفوا السيدة في السيارة كانوا ثلاثة رجال؟.

– نعم .

– وهل اهتديتم إلى اثار ترشد إليهم في(دوريه) ؟

– لقد اهتدينا إلى اثار رجلين فقط .

– وهل كان أحدهما"دالبريك" ؟

– لاأظن.فإنه لم يقم دليل على ذلك .وساد سكون طويل.. قطعه "رينين" أخر الأمر قائلا :

– وهل تركت زملاءك في (الهافر) ؟

– نعم.تركت هناك اثنين من المفتشين .. وسالحق بهما غدا في بلدة (كودبيك) حيث نقضي سواد الليل.وقد فهمت من بعض البيانات التي وردتني اخيرا ان " دالبريك " يختبىء في هذه البلدة الواقعة

على ضفة نهر "السين" اليمنى . فقال " رينين" في عزم ووثوق :
– إذن فسأذهب إلى هذه البلدة غدا ياحضرة المفتش .. وسوف اسلمك هذا الرجل ..

* * *

وفي اليوم التالي غادر " رينين " و " هورتنس " باريس في سيارة كبيرة يقودها السائق " كليمان" . . وقد قطعا رحلتهما في صمت تام لم يتبادلا خلاله كلمة واحدة .. وكانت " هورتنس" رغم ثقتها الكبيرة في " رينين" قد قضت ليلتها فريسة للقلق والهواجس .. وراحت تفكر في كنه هذه المغامرة الجديدة .ومرت السيارة في طريقها بمدينة (روان) ثم تابعت سيرها على الضفة اليسرى من نهر " السين " . ولما انتصف النهار نزلا باحد الفنادق الريفية حيث تناولا طعام الغداء . فلما فرغا اخرج " رينين" من جيبه خريطة كبيرة تبين الطريق بالتفصيل .. فبسطها فوق المائدة واخذ يدرسها ، واشار إلى الطريق الذي يتعين عليهما ان يسلكاه حتى يصلا إلى غابة (البريتوان) ثم قال :
– لقد علمت حينما قصدنا معا إلى إدارة (شركة السينما الدولية) ان رواية (الأميرة السعيدة) قد مثلت في غابة (البريتوان) . وقد خطرت ببالي الآن هذه الفكرة : الا يحتمل ان يكون "دالبريك " حينما مر في طريقه بغابة (البريتوان) بعد ان اختطفت "روزاندريه "، قد راى ان من الخير ان يختبيء فيها بينما يعود زميلاه إلى باريس ؟ إن الكوخ الذي شاهدناه في اثناء تمثيل الرواية كائن هنا فلم لا يقصد إليه ؟ وهو الكوخ الذي حمل إليه منذ بضعة اشهر تلك المراة التي يهيم بها وينوب شوقا للاستئثار بها .. وقد كانت إذ ذاك بين يديه وفي متناول قبلاته ..
وإذا كان قد قام بتلك المغامرة إذ ذاك في عالم التمثيل ..
فقد اتيح له اخيرا ان يقوم بها في عالم الحقيقة ، لكن هذه المرة تختلف عن سابقتها .. فليس هناك من ينقذ " روز اندريه " من بين يديه كما انقذوهافي اثناء تمثيل الرواية .. فإن الغابة شاسعة مترامية الأطراف .. ولاشك ان "روز اندريه" قد بدات تفقد الأمل في نجاتها .

هنا ارتعدت " هورتنس " وقالت :

– اواه " يا "رينين " .. ارجو الا نكون قد جئنا بعد فوات الأوان .

– وما الذي يحملك على هذا الظن ؟

– لقد انقضى على اختطافها ثلاثة اسابيع .. فهل تعتقد انه يتركها في سجنها طوال هذه المدة ؟

– كلا بالتاكيد فإن البقعة التي ارشدوني إليها تقع في مكان مطروق.

ولكنني اعتقد اننا سنجدهما في مخبا آخر ..

وما كاد ينقضي نصف الساعة على هذا الحديث حتى شارفا غابة (البريتوان) فإذا هي غابة مترامية الأطراف تلوح عليها شواهد القدم وتنتشر فيها معالم القرون الوسطى .

ولما كان " رينين " يعرف الغابة جيدا فقد قاد السيارة إلى داخلها ثم اوقفها قرب شجرة ضخمة معروفة .. وترجل الاثنان واستانفا السير على الأقدام . وقال " رينين ":

– هلمي من هذه الناحية .. إن الكوخ غير بعيد عن هنا .

وبلغا في سيرهما ممرا ضيقا بين الأشجار المتشابكة ، وما لبثا ان اهتديا إلى الكوخ عند نهايته ..

ودخل " رينين " وحده ذلك الكوخ واضاء مصباحه الكهربائي وراح يقلب بصره بين جوانبه ويفحص الأسماء المختلفة التي نقشت على جدرانه .. واخيرا عاد إلى " هورتنس " وخاطبها قائلا :

– لم اهتد إلى اي شيء في الداخل يا "هورتنس " .. لكن هاك الأثر الذي كنت ابحث عنه .. فإنه إذا كانت الذكرى القريبة قد اجتذبت دالبريك" إلى هذا الكوخ الذي مثلت فيه رواية (الأميرة السعيدة) فإن "روزاندريه" قد استغلت كذلك هذه الذكرى . وكسرت بعض الأغصان كما فعلت في الرواية ، كي ترشدبها إلى الطريق الذي سلكه خاطفها . فقالت " هورتنس " :

– حسنا .. قد اسلم معك بان هذا دليل على مرورهما بهذا المكان ولكن تاريخ هذا الدليل يرجع إلى ثلاثة أسابيع .. والآن ...فقاطعها "رينين" قائلا :

- إن اختك سجينة الآن في مكان آخر بعيد عن هذه البقعة .
- او انها قد قتلت ..
فقال "رينين" وهو يضرب الأرض بقدميه :
- كلا .كلا .. فليس مما يسيغه العقل ان يجشم الرجل نفسه كل هذا العناء .ثم ينتهي به الامر إلى ارتكاب جناية قتل تافهة ...وإنما اري انه يستخدم مع فريسته كل وسيلة ممكنة لحملها على الخضوع ، كالتهديد والتجويع وما إليهما .
- ماذا نفعل إذن ؟.
- فلنبحث عنها .
- كيف ؟.
- يحسن بنا في هذا الصدد ان نسلك نفس الطريق الذي اتبع في رواية (الاميرة السعيدة) .. وإذن فلنفتش ارجاء هذا الطريق من اوله إلى اخره .. وقد شاهدنا في تلك الرواية ان الرجل الوحشي حمل الاميرة الاسيرة إلى هنا بعد ان عبر بها نهر " السين " .. وهذا النهر يبعد عنا الآ ن بما يقارب كيلو مترا واحداً .. فلنقصد إذن إلى هذا النهر .. واتجها على الفور صوب النهر، وراح " رينين " في اثناء سيره يفحص بعينيه كل ما يحيطه ، ويتلفت هنا وهنالك كانه كلب الصيد اطلق في اثر طريدته .. بينما كانت السيارة تتبعهما عن كثب .. ومرا في طريقهما ببعض منازل متناثرة .. فعرج " رينين " على احدها واخذ يستفسر صاحبه .فعلم منه انه قد افتقد قاربه منذ ثلاثة اسابيع .. في يوم اثنين .. فلم يجده .. واخيرا عثر عليه في بقعة نائية تبعد كثيرا عن موضعه الاول ..
فقال " رينين" :
-هل عثرت على هذا القارب قرب الكوخ الذي مثلت فيه في الصيف الماضي رواية سينمائية ؟
- نعم .
- وهل هذا هو المكان الذي نزلوا فيه بالمراة بعد اختطافها ؟
- نعم .. نزلوا فيه (بالاميرة السعيدة) .. او بالاحرى بالسيدة " روز اندريه".. صاحبة المنزل المعروف باسم (الخلوة اللطيفة).

- وهل هذا المنزل الذي كانت تقيم فيه مفتوح الآن؟
-كلا .. فقد سافرت السيدة منذ شهر واغلقته .
- الم تترك به حارسا ؟
- كلا .
وعاد "رينين" إلى "هورتنس" وهو يقول :
- لم يبق هناك ادنى ريب في ان هذا المنزل هو السجن الذي اختاره الشقي لحبسها بين جدرانه . وبدات المرحلة المهمة من هذه المطاردة .. تقدمت بهما السيارة على امتداد نهر السين ، حتى شارفت منزل "روز أندريه "المعروف باسم (الخلوة اللطيفة) .. فإذا النباتات المتسلقة تحيطه من كل جانب .. وما كاد "رينين" و هورتنس" يبصران هذا المنزل حتى عرفا فيه ذلك المنزل الذي شاهداه في رواية (الاميرة السعيدة) . كانت نوافذ المنزل محكمة الإغلاق .. وقد انتشرت الاعشاب في الممرات المؤدية إليه .. مما يدل على انه هجر من زمن طويل . واختبا "رينين" و"هورتنس" في بقعة في الغابة وراحا يرقبان المنزل منها زهاء ساعتين .. اما هورتنس" فقد بدات ثقتها بـ "رينين" تضعف .. ولم تشا ان تعتقد ان هذا المنزل يمكن ان يستخدم سجنا لاختها .
- بل اؤكد لك انها هنا .. ومحال ان يكون "دالبريك " قد تخير مكانا اخر لسجنها . فإنه يظن انه باختيار هذا المكان الذي تعرفه حق المعرفة يحملها على الخضوع له والتسليم .. وطرق سمعهما اخر الامر صوت وقع اقدام صادر من ناحية المنزل ... وكان الصوت يدنو ببطء وتثاقل. وبدا لهما شبح في الطريق لم يستطيعا ان يتبيناه على وجه التحديد .. لكنهما انسا في مشيته تلك الهيئة التي تميز بها الرجل الوحشي في رواية (الاميرة السعيدة) .

وهكذا استطاع "سيرج رينين" في فترة لا تتجاوز ٢٤ ساعة ان يتوصل بملاحظة قوية ابداها في دارالسينما الى عقدة الجريمة. وتبين اخر الامر ان "دالبريك " قد مثل على مسرح الحياة ماقام بتمثيله بين مشاهد الرواية واستطاع " رينين " باقتفائه

الطريق الذي جرت فيه مشاهد الرواية خطوة خطوة أن يهتدي إلى المكان الذي احتجزت بين جوانبه (الأميرة السعيدة) .

وقد شاهد " دالبريك": ممسكا بيده سلة تظهر منها زجاجة ورغيف من الخبز ، بينما كان يحمل فوق كتفه تلك (البلطة) التي حملها في الرواية كذلك .

ودفع . " دالبريك " باب المنزل الخارجي ، واتجه إلى باب جانبي تحجبه الأشجار عن العيان .

وهمت " هورتنس " بأن تتبعه . ولكن " رينين" امسك بيدها وحال بينها وبين الذهاب .. فتمتمت قائلة :

- يجب الا نترك هذا الوحش يدخل إلى المنزل وإلا..

-ولكن ما قولك إذاكان له شركاء يعاونونه أو كان هناك أعوان يراقبون المنزل؟

- ليكن ما يكون . فيجب أن تنقذ أختي قبل كل شيء .

- لكنه قد يقتلها إذا لم نصل في الوقت المناسب .. فعملت هورتنس" برأيه .. وبقيا في مكانهما يترقبان حتى انقضت ساعة أخرى . وقد أقلقهما ما يخيم على المنزل من سكون مطبق . بينما راحت " هورتنس" تخرج منديلها بين حين وآخر فتكفكف به دموعها المنحدرة . وأخذ الليل يرخي سدوله .. وعلى حين غرة فتح باب مقابل وطرقت سمعهما أصوات تدل على الفزع والتوجع ممتزجة بعبارات تنم عن النشوة والظفر .. وما لبثا أن شاهدا رجلا وامرأة..فلما أمعنا النظر شاهدا الرجل يطبق على المرأة ويحملها بين ذراعيه.

وتمتمت " هورتنس" قائلة :

- هاهو ذا . نعم ها هوذا مع " روز" .. أواه "يارينين " .. أتوسل إليك أن تخلصها من بين يديه . وراح " دالبريك " يعدو بين الأشجار وهو يحمل المرأة بين ذراعيه. وكان يضحك ويصيح كالمجنون .. وأخذ يقفز قفزات واسعة برغم ذلك الحمل الذي يرفعه بين يديه .. فكانت هيئته إذ ذاك أقرب إلى هيئة وحش من أبطال القصص الخرافية . قد أسكرته نشوة الظفر بفريسته . وأخلى الرجل إحدى

يديه فامسك بها (البلطة) الملصوقة .. بينما حمل المراة باليد الاخرى .. وجعلت "روز" تئن من فرط ما اصابها من الفزع .. وسار بها مسافة طويلة حتى ادرك بئرا في الطريق . فكف عن السير فجاة.وانحنى فوق البئر كانه يهم بإلقاء فريسته في قاعها على انه حينما رايِ ان تهديده المراة لم يثمر عادبها ادراجه إلى المنزل واختفى في داخله بعد ان اغلق الباب خلفه .على ان "رينين" لم يتحرك من موضعه . وهنا تعلقت " هورتنس" بثيابه وقد امتلات نفسها هلعا وراحت تستعطفه قائلة :

– انقذها بربك . إنه مجنون. سوف يقتلها . اتوسل إليك " يا رينين". وسمعا من جديد استغاثة المراة صادرة من داخل المنزل ، فايقنا انه يعذبها ويسيء معاملتها ..

ترى هل ينوي حقا ان يقضي عليها ؟ او انه يهددها فقط حتى تخضع لإرادته ؟ وكف صوت الاستغاثة بعد ذلك ولا يبعد ان تكون الفتاة التعسة قد كفت عن المقاومة وخضعت . ولم تلبث " هورتنس" ان امسكت بيد"رينين"، فشعر بها باردة كانها قطعة من الجليد .. فقالت تخاطبه وهي ترتجف : اواه . اتوسل إليك ان تنقذها . ماذا تنتظر ؟ فقال " رينين" يطمئنها :

– ليس هناك ما يدفعنا إلى التسرع . بل يجب ان نفكر اولا ..

– نفكر !؟ ولكن "روز". "روز"..ماذا تصنع إزاء هذا الرجل إنه سيقضي عليها .

ولم يجد " رينين" بدامن العمل .. فغادر مخباه وعاون "هورتنس" على السير ، وقد كادت تسقط إعياء واضطرابا حتى ولجا باب الحديقة .. وكان الظلام في هذه اللحظة قد تكاثف فجعلا يتقدمان باطمئنان دون خوف من رقيب او مفاجيء .. ودارا حول المنزل دون ان يتبادلاكلمة واحدة حتى ادركا الباب الخلفي الذي شاهدا دالبريك" ينفذ منه اول مرة .. ولكنهما وجداه مغلقا . ومع ان "رينين" كان يستطيع ان يفتح الباب دون كبير عناء فقد آثران يعود ادراجه حتى يراقب ما يدور في الناحية الامامية من المنزل .
وهتفت " هورتنس"مرتاعة :

- إنني لااستطيع ان افهم شيئا مما يدور في الداخل .. فقال "رينين" : - ولكنني بدات افهم .. وعادا إلى واجهة المنزل وشرعا يزيحان النباتات المتسلقة والاغصان المدلاة التي تغطي الجدران.حتى كشفا اخر الامر عن نافذة من نوافذ الدور الاول وهنالك قال " رينين" :

- اصغي .. إنهما يتحدثان .. إن الصوت ينبعث من هذه الغرفة -

وحاول " رينين" ان يراقب ما يجري من خلال النافذة . ولكنه لم يستطع ان يبصر شيئا .. وما لبث ان اخرج من جيبه مدية صغيرة كان يحملها وراح يعالج فتح النافذة بها.حتى وفق اخيرا ولكنه راى ستارا يحجب عن عينيه كل ما وراءه ..

همست "هورتنس" في اذنه :

- اتصعد فوق حافة النافذة ؟

فقال " رينين " :

- نعم .وساحطم زجاجها إذا اقتضى الامر واصوب مسدسي إلى "دالبريك" وتسلق "رينين" حافة النافذة في حذر شديد واخذ يرفع هامته شيئا فشيئا حتى استطاع ان يرسل بصره بين فرجة الستار ، وشاهد بذلك ماكان يجري في الداخل وكان ممسكا بإحدى يديه مسدسا وبالاخرى مدية خاصة في طرفها قطعة من الماس تستخدم في شرخ الزجاج . فسالته " هورتنس" :

- هل ترى شيئا ؟

فالصق " رينين" جبهته بزجاج النافذة . وما لبث ان بدرت منه صيحة مختنقة وقال :

- اه .ايمكن ان يصدق الإنسان عينيه ؟

فهتفت " هورتنس" قائلة :

- اطلق النار .اطلق النار .

- كلا .كلا.

فوضعت " هورتنس" قدمها على حافة النافذة فامسك " رينين" بيدها وساعدها على الوقوف بجانبه وقال:

- انظري .

فاسندت " هورتنس" راسها إلى زجاج النافذة وما لبثت ان هتفت.
- آه .
فقال " رينين" :
- ما رايك في هذا ؟ لقد كنت اعتقد ان وراء الإكمة ماوراءها. لكني لم اتوقع مثل هذا الذي نرى .
كان في الحجرة مصباحان صغيران ونحو عشرين شمعة تنشر بين ارجائها ضوءا كافيا و قد انتثرت في ارجائها مقاعد شرقية مختلفة و اكتست ارضها ببساط سميك .. وقد استلقت "روز اندريه" فوق احد هذه المقاعد وتمددت في الثوب الذي مثلت به رواية (الاميرة السعيدة) . وكانت عارية الكتفين ترصع شعرها طائفة من الجواهر واللآلىء . اما " دالبريك " فكان يرتدي ثياب العبيد . وقد جلس عند قدميها فوق إحدى الوسائد .. وراح يرسل إليها نظرات تشف عن الوله .. فتبتسم له "روز" في غبطة تامة وتداعب بيدها شعر راسه . وقد انحنت فوقه مرتين ، فقبلته في جبهته ثم لثمت شفتيه ... وهو يكاد يذوب وجدا ويجن جوى وغراما . كان المشهد يبعث على التاثر الشديد . ولم يكن هنالك ادنى ريب في ان هذه النظرات التي يتبادلانها وتلك الرنوات وتلك الجو الغريب الذي يسود الحجرة إنما ينبىء عن حب عنيف وغرام مضطرم .
لم تستطع " هورتنس " ان تحول بصرها عن هذا المشهد الذي لم تكن تتوقعه ..
ايمكن حقا ان يكون هذا العاشق الموله هو تلك الرجل الذي شاهدته من امد قصير يحمل هذه المراة بين اطواء الغابة ويرقص بها رقصة الموت؟ إنها تكاد تنكر ان هذه المراة الممددة على المقعد هي اختها حقا . فإنها لم تكد تعرفها إذ آنست فيها امراة اخرى ، ذات جمال طريف . امراة تحركها عاطفة مريبة تسيطر على مشاعرها سيطرة تامة . وتمتمت " هورتنس" قائلة :
- ياإلهي ! لشد ما تحبه ! .. إنها تذوب وجدا وغراما بهذا المخلوق القبيح ... ايمكن هذا حقا ؟ ..

وهبط " رينين " إلى الأرض وحمل "هورتنس" إلى ظل شجرة نائية كما حمل "دالبريك" "روز" .. ولما اجلسها أخذت ترتجف كانما سرى في جسدها تيار كهربائي .. وقال "رينين" وهو يفرك كفيه ويضحك :

- هذه مفاجاة غريبة .. اليس كذلك ؟

ولما لم تجبه بحرف استطرد يقول :

- بلى . هذه مفاجاة تبعث على اشد العجب .. فإن " روز اندريه" خرة طليقة ... تنعم بالغرام : ومع من ؟ مع رجل الغابة المتوحش.. وهي تلثم شفتيه بشغف . بينما نقوم نحن بالبحث عنها في قاع بئر او كوخ مهجور . لا ريب انه استطاع ان يؤثر عليها بعد ان اذاقها من العذاب الوانا.

ولا ريب انه قد استحال بعد ذلك في عينيها حلو الصورة جميل المحيا . إن من يبصرهما لا يشك في انهما عاشقان متفانيان . قد لجا إلى هذه البقعة النائية بعيدا عن أعين الرقباء.حتى يستاثر كلاهما بصاحبه دون ان يزعجهما أحد . يا إلهي ! من كان يظن ان "روزاندريه"في هذا المكان.. في هذه(الخلوة اللطيفة) حقا .. لاشك انهما يستمتعان بشهر العسل .. ولقد خيل إلي حين وقع بصري عليهما لأول وهلة انهما يمثلان قصة جديدة .. وانهما في هوليوود مدينة السينما والحرية .. وان هذا المشهد الذي تقع عليه ابصارنا ليس إلاأحد المشاهد التي سنشهدها قريبا في القصة الجديدة .إن الواقع الذي يمثل على مسرح الحياة وفوق الستار الفضي هوان المراة تناضل حتى الموت ذلك الذي يرغب في الاعتداء عليها حتى الموت .. فكيف كان يمكن ان نفترض عكس هذه القاعدة . واستحونت هذه القصة على نفس "رينين" فاستطرد قائلا :

- كلا . كلا .. إن المسائل لا تسوى على هذا النحو حتى في الروايات السينما ئية . ولا شك ان ذلك ما أوقعني في الخطا .. فإنني سرت منذ البداية على هدي وقائع قصة (الأميرة السعيدة) . لكن " روز اندريه" لم تلبث ان انتقلت من هذه الشخصية التي عرفناهاعلى الستارإلى عاشقة مولهة ، مما يغاير

الواقع مغايرة تامة .

لقد خدعتنا يا " دالبريك " .إذ اظهروك لنا على الستارفي صورة الرجل الوحشي على حين انت في الواقع عاشق من الطراز الاول. نعم .لا شك ان " دالبريك " رجل ظريف . لطيف المعشر . ولا شك انهم إذا اهتدوا إلى قاتل " بورجيه " تاجر الجواهر لوجدوه شخصا آخر غير " دالبريك ".وجلس "رينين " إلى جانب " هورتنس" وطلب إليها ان تمسك بيدها مصباحه الكهربائي ، فلما فعلت راح يسطر رسالة موجزة قراها بصوت مسموع كما يلي :

" إلى السيدة روزاندريه" .

" سيدتي .

"إن صديقا ناصحا يخطرك بان البوليس يبحث عن مسيو دالبريك" لأسباب لاشك انك تعرفينها . ليس هناك اقل خطر حتى الآن لان رجال البوليس يفتشون على الضفة الاخرى من نهر السين " في جهة (كودبيك) .وهذا مما يمهد لكما سبيل الفرار إلى غرب فرنسا . وفي وسعكما إذ ذاك أن ترحلا إلى امريكا متفرقين . وسوف توفقان هناك إلى العمل الذي خلقتما من اجله وسوف ينسى الناس كل شيء على مر الأيام .. وتقبلي احترامي " .

فقالت " هورتنس " :

– وماذا تنوي ان تفعل الآن ؟

فقال " رينين " :

– ساعود إلي باب المنزل الخلفي ..فادس الرسالة من اسفل الباب ثم اضغط على الجرس وانصرف .. ورجع إليها بعد قليل وهو يفرك كفيه ارتياحا وقال :

– لقد تم كل شيء ..ضغطت على الجرس واختبات .. ففتح الباب.ولاحظت انهما عثراعلى الرسالة وعليهماان يتصرفا الآن على الوجه الذي يروقهما.

* * *

وعاد " رينين" و" هورتنس" إلى(كودبيك) في الساعة التاسعة وتوجه رينين" لمقابلة المفتش "موريسيه " وخاطبه قائلا :

– لم اهتد إلى شيء .. وربما رحل"دالبريك" إلى المانيا .. وسوف اهتم بالبحث عنه ، وساطلعك على ما يتم .. لكنني ضعيف الأمل في النتيجة . فهز "موريسيه" رأسه هزة الأسف وقال :

– إن حظلي ليس خيرا من حظك . وعاد "رينين" و" هورتنس" إلى "باريس" في مساء تلك الليلة. وقد جلسافي السيارة صامتين . وما لبث "رينين" ان قال :

– مهما يكن من امر ، فقد ادركت الحقيقة من اول الأمر حينما كنا في دار السينما ، وإن كنت قد اخطات في متابعة بعض التطورات ، والحق انه لايسعني إلا ان اهيىء لك كل مرة مغامرة ناجحة على طول الخط وعلى كل حال فإنك قد تاثرت بهذه المغامرة الظريفة حتى لقد ابكتك ، وزادتك تعلقا بي ولجوءاً إلي واعتمادا علي .

فارتجفت " هورتنس" وتندت عيناها بالدموع ، فقد ادركت ان رينين" يشير إلى مغامرتهما الأولى التي ربطت بينهما برباط وثيق وما كان تتابع الحوادث إلا ليزيد هذه الرابطة وثوقا .

وكان منظر اختها العاشقة وهي تداعب حبيبها في وله قد اثر في نفسها تاثيرا عميقا .. فجلست بدورها تضطرب إلى جانب هذا الرجل الذي يكيف الحوادث بإرادته تكييفا علي النحو الذي يروقه . ويسيطر على مصائر الذين يحتكون به ممن يناضلهم او يبسط عليهم حمايته ..

كانت " هورتنس"تشعر نحو "رينين" برهبة وحب معاً ..

وكانت تتطلع إليه احيانا كما تتطلع إلى ناصرها الوحيد وحاميها القوي .. ثم لا تلبث احيانا اخرى ان تحس برغبة إلى البعد عنه والحذر منه .

* * *

-٤-

الجنون فنون

وقعت في باريس في فترة وجيزة سلسلة عجيبة من الجرائم الغامضة .. كان من المحتمل ان تظل ابدا خافية .. لولا ان شاءت الظروف والأقدار ان يضع البرنس " رينين" اصبعه على هذه الجرائم . فيميط اللثام عنها بالمهارة التي عرفت عنه . وفيما يلي التفاصيل :

حدث في خلال ثمانية عشر شهرا .. ان اختفت من باريس وضواحيها خمس نساء تتراوح اعمارهن بين العشرين والثلاثين وعرف عن اولئك النساء الخمس انهن ينتمين إلى طبقات مختلفة .. وانه لايمكن ان تكون هناك صلة بينهن .. اللهم إلافيما انتهت إليه مصائرهن واولى اولئك النسوة تدعى مدام (لادو) وهي زوجة طبيب معروف . والثانية تدعى الأنسة (اردان) وهي ابنة احد رجال المال والأعمال . والثالثة عاملة تشغيل في (كوربفوا) وتدعى الأنسة (كوفيرو). والرابعة تدعى الأنسة (هونورين فرنيسيه) وتشتغل صانعة ملابس . والخامسة فنانة تشتغل بالرسم والتصوير وتدعى مدام "جرولينجر".

اختفت اولئك النسوة الخمسة ولم يهتد البوليس إلى معرفة السبب الذي غادرن من اجله بيوتهن . او السبب الذي منعهن من العودة . وقد حدث في كل هذه الحالات الخمسة . ان جثة المراة المختفية كانت توجد في مكان ما في غرب باريس .. وكان اكتشاف الجثة يحدث دائما في اليوم الثامن بعد اختفاء صاحبتها .

وقد دل الفحص الطبي في جميع الحالات .. على ان الوفاة حدثت بضربة اصابت الجمجمة فهشمتها . على ان الضحية كانت دائما تجوع حتى يدركها الهزال الشديد ثم تضرب وهي نائمة بالمطرقة فتموت في الحال .

وكان رجال البوليس يجدون دائماً بالقرب من كل جثة آثار

عجلات تدل على ان الجثة نقلت بواسطة إحدى المركبات وقد عجز رجال البوليس والمحققون عن إدراك كنه هذه الجرائم بيد انه كانت هناك حقيقة ثابتة لا تحتمل شكا او جدلا . وهي ان الجرائم الخمسة ارتكبت جميعها بطريقة واحدة . وفي ظروف متشابهة . وان الفاعل في جميع الحالات هو نفس الشخص .

كذلك كان الدافع إلى الجريمة غامضا مجهولا .. والواقع .. انه لم يعثر على شيء من الحلي او النقود مع جميع النساء اللاتي وجدت جثثهن .. ولكن ذلك لم يكن معناه حتما ان الجرائم الخمسة ارتكبت بقصد السرقة .. إذ يحتمل ان يكون بعض قطاع الطرق وعابري السبيل قد عثروا بالجثة ملقاة على جانب الطريق.

فجردوها من الحلي .. وجردوا الثياب من النقود .

وتساءل المحققون ، ترى هل الباعث على ارتكاب هذه السلسلة المخيفة من جرائم القتل هو حب الانتقام ، او ان هناك شخصا يطمع في الاستيلاء على ميراث ضخم فلم يجد إلى ذلك سبيلا غير إبادة من هم احق منه بذلك الميراث ؟! صفوة القول : إن هذه الجرائم ظلت محفوفة باشد الغموض ، وهم المحققون بحفظها وتسجيلها ضد مجهول اومجهولين . لولا ان حدث فجاة حادث شحذ هممهم . ونشطهم مرة اخرى للبحث عن المجرمين..اما هذا الحادث الفجائي .. فهو ان احد عمال تنظيف الشوارع عثر على دفتر صغير . فحمله إلى اقرب مركز للبوليس كما هو متبع في مثل هذه الأحوال . وقد ظهر من فحص هذا الدفتر ان جميع صفحاته بيضاء خالية من الكتابة عدا صفحة واحدة. وجد بها اسماء النسوة الخمسة اللائي اختفين ثم وجدت جثثهن وقد وضع امام كل اسم رقم خاص هكذا مدام "لادو" ١٣٢ - الآنسة "فرنيسيه" ١١٨ الخ .ولم يكن ثمة ما يدعو إلى شدة الاهتمام بالأمر في البداية.. لان جميع الناس كانوا قد قرءوا في

الصحف اسماء الضحايا فليس غريبا إذن ان يكون هناك من اراد تتبع سلسلة هذه الجرائم الخفية ومعرفة عددها ولكن الامر الذي لفت النظر . هو وجود اسم سادس عقب اسماء الضحايا الخمسة . وهو اسم (الآنسة " ويليامسن) وامامه رقم ١١٤ . وقد ظهر من التحريات التي قام بها رجال البوليس على اثر هذا الاكتشاف . ان هناك ممرضة إنجليزية تدعى " هربرتاويليامسن " كانت تعمل في خدمة إحدى العائلات ثم تركت الخدمة منذ خمسة عشر يوما بقصد العودة إلى انجلترا .. وان شقيقاتها في لندن انتظرنها بغير جدوى فلم تصل وثبت انها لم تبرح فرنسا .

واهتم رجال البوليس بالامر . ونشطوا للبحث عن الممرضة المختفية واخيرا عثر احد المارة على جثتها في غابة (ميدون) واثبت البحث الطبي انها قتلت بضربة مطرقة هشمت جمجمتها تهشيما. ونقلت إلى الغابة في مركبة بنفس الطريقة التي نقلت بها سابقاتها .

ومن تحصيل الحاصل ان نصف شعور الفزع والذعر الذي ملأ قلوب الناس حين قرءوا قائمة الضحايا مسجلة بخط القاتل في دفتر خاص كما يسجل التاجر إيراداته ومصروفاته . ومما ضاعف اهتمام الراي العام بهذه الجرائم الفظيعة الغامضة ان الخبراء الذين فحصوا الخط الذي كتب به اسماء الضحايا في ذلك الدفتر قرروا بصفة قاطعة انه خط (امراة .. مثقفة شديدة الحساسية تميل إلى الفنون) .

وعلى اثر ذلك بدات الصحف تنشر انباء التحقيقات في هذه الحوادث تحت عنوان " جرائم المراة ذات المطرقة " واثار تقرير الخبراء اهتمام علماء النفس . وكان بين الذين اهتموا بهذه الجرائم الغامضة مخبر صحفي شاب .. وفق بعد طول البحث والفحص والتفكير ومقارنة تواريخ اختفاء الضحاياإلى معرفة

سر الأرقام المسجلة امام اسم كل من الضحايا .

كان كل رقم يدل على عدد الأيام التي انقضت بين كل جريمة واخرى ، اي ان القاتلة كانت تسجل سلفا الموعد الذي قررت فيه ارتكاب جريمتها التالية بدليل انها سجلت امام اسم المربية الإنجليزية رقم ١١٤ .

وقد اذاع الصحفي الشاب هذا الاكتشاف البارع .واثبتت مقارنة تواريخ الجرائم صحته ودقته . ولما كانت المربية الإنجليزية قد اختفت في يوم ٢٦ يونيو فقدكان من المرجح ان ترتكب القاتلة جريمتها السابعة بعد ١١٤ يوما ، اي في يوم ١٨ اكتوبر وقد حار المهتمون بتحقيق هذه الجرائم في تعليل اختلاف المدة بين كل جريمة واخرى . ولكنهم اولوا هذا الاختلاف بان القاتلة ربما كانت تصدر في اعمالها عن شهوة إلى سفك الدماء تتملكها في فترات تستطيع هي وحدها ان تحددها وتكيفها .

وكانت النتيجة ان رجال البوليس وقراء الصحف باتوا يرقبون يوم ١٨ اكتوبر بفارغ الصبر . واشارت بعض الصحف إلى ان هناك إجراءات اتخذت لمنع ارتكاب الجريمة السابعة التي قررت المراة ذات المطرقة ارتكابها في اليوم التالي .

ففي مساء يوم ١٧ اكتوبر تناول البرنس " رينين" وصاحبته هورتنس " طعام العشاء في الشقة الانيقة التي استاجرتها هورتنس " بالقرب من حديقة (مونسو) وكان من الطبيعي بعد الطعام ان يدور الحديث بينهما حول الجريمة المنتظرة . فقال رينين " ضاحكا :

– كوني على حذريا " هورتنس". وإذا قابلتك المراة ذات المطرقة فتجنبي طريقها .

فسالته " هورتنس " :

– وإذا اختطفتني هذه السيدة الطيبة القلب فماذا يكون ؟

فا جاب " رينين" وهو لايزال يضحك :

- إذا فعلت فإنها تهيئ لك اظرف فرصة لتذوق الذ انواع المغامرات .

* * *

واتفق الاثنان على اللقاء في الساعة التاسعة من مساء اليوم التالي لمشاهدة التمثيل في مسرح (الجيمناز) .

وقد قضى "رينين" بعد ظهر اليوم التالي في قراءة الصحف بدقة . ولكنه لم يعثر بين انبائها على حادث اختطاف جديد .

وحوالي الساعة التاسعة قصد " رينين" إلى الموعد المتفق عليه مع "هورتنس" فلم يجد صاحبته فانتظرها فلم تحضر فاتصل بها تليفونيا في دارها فاجابته وصيفتها بانها لم تعد .

وهناك استولى الذعر على رينين لانه كان يعلم عن "هورتنس" حرصها على مواعيدها ، فقصد لتوه إلى دارها ، وهنالك قالت له الوصيفة إن " هورتنس " غادرت المنزل في الساعة الثانية وبيدها رسالة قالت إنها ستضعها بيدها في صندوق الخطابات.

ولكنها لم تعد بعد ذلك . سالها "رينين" : ولمن كتبت هذه الرسالة ؟ !

- إنني قرات عليها اسمك وعنوانك يا سيدي .

* * *

وانتظر " رينين" صاحبته حتى انتصف الليل ، عند ئذ يئس من عودتها فقصد إلى دارها وقال للوصيفة :

- لا تذكري لاحد ان سيدتك اختفت ، وإذا سئلت عنها فقولي إنها ذهبت إلى الريف عند عمها ، وانك ستلحقين بها . ولم يبق لدى " رينين " شك في وجود صلة بين اختفاء " هورتنس " وتاريخ ١٨ اكتوبر المحدد لارتكاب الجريمة السابعة .

قال يحدث نفسه :

- تفاصيل الجرائم السابقة تدل على ان القتل بضربة المطرقة كان يحدث دائما بعداسبوع من الاختطاف ، فامامي إذن ستة ايام على الاقل للبحث عن "هورتنس" والعثور عليها ، وإذا تركنا يوما للطوارئ غير المنتظرة ، كانت المهمة التي لدي لا تتجاوز خمسة ايام ، اي ان "هورتنس" يجب ان تكون حرة طليقة قبل الساعة التاسعة من مساء يوم الخميس المقبل .

وقد سجل هذا التاريخ بحروف ضخمةعلى ورقة امامه .وشرع في العمل .

دخل غرفته . واوصد بابها بعد ان امر الخادم بالا يزعجه مهما كانت الظروف والا يدق الباب إلا إذا حان موعد تناول الطعام .

وقضى البرنس " رينين" بقية الليل وهو يفكر ويعصر ذهنه .. ويبحث عن الطريقة التي يستطيع الاهتداء بها إلى مقر "هورتنس". او معرفة المزيد من امر تلك المراة السفاكة التي يصفونها بذات المطرقة .

* * *

ولم يبرح " رينين" غرفته طيلة الأيام الثلاثة التالية .. واوقف كل اهتمامه على قراءة الصحف التي صدرت منذ ارتكبت الجريمة الاولى .

وانقضت هذه الأيام دون ان يصل "رينين" إلى نتيجة .ودون ان يقف على اثر او حقيقة يتخذها نبراسا في تلك الظلام الذي يحيطه.

وعلى الرغم من ثقته بنفسه فإن الخوف كان يقبض قلبه .وكانت تمر بجسده قشعريرة قوية كلما فكر في ان "هورتنس " قد تنتهي إلى مثل ما انتهت إليه سابقاتها كان هذا الخاطر يعذبه ايما عذاب .

ذكر انه الف عشرة هذه الصبية واصبح يشعر كانها جزء من كيانه لا غنى له عنه . كانت تلك المحنة محكا لشعوره حيال هورتنس" ولم يكن قبلا يتصور انه يعطف على هذه الصبية

ويحبها إلى هذا الحد .

على انه لم يقطع الأمل من إنقاذها فاقبل على الصحف يعيد قراءتها وعلى الجرائم يستعرضها ويحللها .

وفي مساء نلك اليوم . تناول " رينين" قائمة الضحايا وقرا الأسماء . وانتعشت أماله لأول مرة منذ اختفاء " هورتنس " .

تبلج له شعاع رتب على ضوئه الخطة التي يستطيع العمل بها فجلس إلى مكتبه ، ووضع صيغة إعلان صغير بعث به مع سائق سيارته "كليمان " إلى جميع الصحف الكبرى . ثم انفذ "كليمان " في مهمة اخرى ، إذ امره بالذهاب إلى (كوريفوا) حيث كانت تعمل الآنسة " كوفيرو " . وهي الضحية الثالثة من ضحايا السيدة ذات المطرقة .

ولم يبرح "رينين" غرفته يوم الثلاثاء . ولكنه تلقى في نلك اليوم رسائل عدة ردا على الإعلان الذي اذاعه في الصحف . ثم تلقى ثلاث برقيات والظاهر ان هذه الرسائل والبرقيات لم تحرك اهتمامه .

وحوالي الساعة الثالثة مساء حمل إليه البريد رسالة عليها خاتم مكتب بريد (تروكاديرو) فقلب هذه الرسالة بين يديه مرارا وفحص الخط الذي كتبت به .. ثم عمد إلى مجموعة الصحف التي بين يديه . وراح يفتش عن شيء . واخيرا قال لنفسه :

- اظن ان في الإمكان الاتجاه في هذا السبيل . وعمد إلى (دليل باريس) فاخذ يتصفحه ، ثم وضع اصبعه اخيرا أمام اسم (مسيو فانو من حكام المستعمرات . رقم ٤٧ شارع كليبر) وارتدى ثيابه بسرعة ووثب إلى سيارته وامر السائق بقوله :

- إلى شارع كليبر رقم ٤٧ يا كليمان " .

وطلب "رينين" مقابلة مسيو " فانو " فادخله الخادم إلى غرفة استقبال مؤثثة بذوق سليم . وما هي إلا لحظة حتى اقبل عليه

مسيو " فانو " وهو رجل طويل القامة في نحو الاربعين من عمره قد لفحت شمس المستعمرات وجهه فبادره "ريثين" بقوله :

- سيدي .. إنني جئتك الآن لانني قرأت في إحدى صحف العام الماضي أنك كنت تعرف إحدى ضحايا السيدة ذات المطرقة وأعني بهذه الضحية الآنسة " هونورين فرنيسيه " . فاجابه مسيو "فانو" :

- هذا صحيح .إننا عرفنا هذه الفتاة التعسة لان زوجتي استخدمتها في صنع بعض الثياب .

- سيدي .إن امراة من صديقاتي قد اختفت كمااختفت قبلا اولئك الضحايا الستة .

فهتف مسيو " فانو" قائلا :

- احقا تقول ؟ ولكنني كنت اتتبع الصحف بعناية شديدة وانا واثق من انها لم تنشر اختفاء أحد في يوم ١٨ اكتوبر وهو اليوم الذي كان ينتظر أن تختفي فيه الضحية الجديدة للمراة ذات المطرقة .

- بل لقد اختفت في ذلك اليوم سيدة في مقتبل العمر تدعى مدام " دانيل " . - واليوم ٢٤ اكتوبر .

- نعم .. ومعنى ذلك ان الجريمة سترتكب بعد غد .

- هذا مخيف .. يجب منع ارتكاب هذه الجريمة مهما كانت الظروف .

- ربما استطعت منع هذه الجريمة المخيفة بمساعدتك ياسيدي .

- هل ابلغت الامر إلى رجال البوليس . ؟

- كلا يا سيدي .. لأن الحادث محاط بالغموض ولا ارى فيه منفذا او ضوءا يستعين به رجال البوليس . وقد سبق ان ارتكبت ست جرائم مماثلة لم يهتد البوليس إلى إماطة اللثام عن إحداها وليس هناك ما يدعو إلى الاعتقاد بان حظ رجال البوليس سيكون هذه المرة افضل مما كان في المرات السابقة . نعم يا

سيدي .. إننا امام عدو على جانب عظيم من المهارة والحنكة يعرف كيف يرتكب جرائمه دون أن يترك أي اثر يدل عليه .

- وماذا فعلت إذن ؟

- إنني قضيت اربعة ايام في تفكير مستمر . فتامل مسيو "فانو" محدثه عن كثب ثم قال له في تهكم :

- وماذا كانت نتيجة هذاالتفكيرالطويل ؟! فاجابه"رينين" دون أن يعبا بتهكمه :

- كانت النتيجة انني استطعت ان الم بنواحي هذه الجرائم إلمامة لم تتح لأحد قبلي ، وان ارد الاشياء إلى اصولها ، واعرف الطائفة التي ينتمي إليها الشخص الذي يرتكب جرائم كهذه لا يمكن ان يفيد منها مرتكبوها .

- وإلى اية طائفة رددت المرأة ذات المطرقة ؟

- إنني رددتها إلى طائفة المجانين يا سيدي.

- فدهش مسيو " فانو" وهتف :

- إلى طائفة المجانين ؟! ياله من راي عجيب !؟

- إنني اعتقد الآن ياسيدي أن المراة ذات المطرقة مجنونة .

- إذا كانت مجنونة كما تقول ، فهي بغير شك محجوزة في احد المستشفيات أو المصحات .

- ومن ادرانا انها ليست محجوزة في مكان ما ؟ ومن ادرانا انها ليست معدودة ضمن انصاف المجانين الذين تفترض فيهم الدعابة فيعفون من الرقابة الشديدة وتتاح لهم بذلك فرصة إشباع غرائزهم وميولهم التي قد تكون لها في بعض الأحيان صبغة وحشية .

إن جرائم المراة ذات المطرقة إذا دلت على شيء فعلي الأناة والإصرار والحمق وهذه الصفات جميعها ، ولا سيما صفة الإصرار والتكرار هي من اهم ما يمتاز به المجانين .

إن اكثر المجانين ، أو كلهم تخالجهم دائما فكرة ثابتة

يصدرون عنها في كل ما يفعلون ، وهذه الفكرة الثابتة وما يترتب عليها من إصرار هي من اهم اركان الجنون .

إن إجراءات هذه المراة المجنونة متشابهة في جميع جرائمها فهي تجتنب إليها ضحاياها بطريقة مما زلنا نجهلها . ثم تشد وثاقهن بطريقة معينة . وتقتلهن بعد ثمانية ايام بواسطة مطرقة تهشم بها جماجمهن.. اما المجرم العادي .. فتتغير إجراءاته ووسائله تبعا للظروف . وهو لذلك عرضة للوقوع في خطا قد يؤدي إلى اقتناصه .. بخلاف هذه المراة المجنونة .. فإن يدها لاترتجف .. وقد حذقت صناعتها فبات يتعذر تورطها في خطا ينم عنها .

ومتى سلمنا جدلا بان هذه المراة مجنونة .. وانها ترتكب فظاعاتها بطريقة ميكانيكية كما تدق الساعة دقاتها في المواقيت المقررة . متى سلمنا جدلا بذلك .. هان علينا فهم الغرض من هذه الجرائم .. او بمعنى آخر حق علينا ان نعتقد بان هذه الجرائم لم ترتكب لغرض معين . فقال مسيو "فانو" :

- الواقع أن هذا التعليل معقول . ولكن إذا سلمنا بصحته . فكيف نبرر طريقتها في اختيار ضحاياها ؟؟ ولماذا تختار نبيحة لها هذه المراة دون تلك ؟ . إنك تلقي علي ياسيدي سؤالا القيته على نفسي مرارا طيلة هذه الأيام الأخيرة . نعم .. لماذا اختارت هذه المجنونة " هورتنس " دون الملايين من النساء ! ولماذا وقع اختيارها على الآنسة فرنيسيه ".. والآنسة "ويليامسن" ؟ وما الصفة المعينة التي وضعتها هذه المجنونة نصب عينيها وتوافرت في جميع ضحاياها ؟!

- هل وجدت تعليلا لذلك ؟!

- نعم ياسيدي إنني وجدت التعليل من اول لحظة بمجرد إلقاء نظرة سطحية على قائمة اسماء الضحايا وهذا التعليل قائم على ذات النظرية الأساسية واعني نظرية الإصرار والفكرة الثابتة عند المجانين .

إن نظرة واحدة على أسماء الضحايا تدلك يا سيدي على أن جميع هذه الأسماء تبدأ بحرف الهاء (هـ) فإحدى الضحايا تدعى " هونورين" والثانية تدعى " هيلين " والثالثة تدعى "هرملين " والرابعة تدعي "هليار " والخامسة تدعى "هلدجارت " والسادسة تدعى " هربرتا " والسابعة تدعى "هورتنس " فحرف الهاء هو الحرف الذي يلفت نظر هذه المجنونة الآثمة .. ولكن ماذا بك يا سيدي ؟ يخيل إلي انك تتألم ؟ والواقع ان وجه مسيو " فانو " امتقع فجاة وتجمعت حبات العرق على جبينه . وغمغم قائلا :

- كلا يا سيدي . ليس بي من شيء . كل ما في الأمران قصة هذه الجرائم ازعجتني وقد كنت اعرف إحدى الضحايا ولذلك ..

وارتج عليه القول فصمت قليلا ثم استطرد :

- لنسلم جدلا بصحة نظريتك فماذا فعلت بعد ذلك ؟

- نشرت اليوم بجميع الصحف الكبرى إعلانا هذا نصه طاهية بارعة تطلب عملا العنوا ن " هرمين بشارع " هوسمان " وقد تعمدت ان يبدأ الاسم بحرف (الهاء) وطلبت إلى الصحف ان تنشر اسم "هرمين" بحروف كبيرة تلفت النظر وهنا سال مسيو " فانو" في قلق :

- وهل لفت الإعلان نظر المرأة ... ذات المطرقة ؟

- لقد كتبت إلي بعض السيدات يطلبن إلي ان اعمل في خدمتهن كطاهية ولكن لم اقم وزنالغير رسالة واحدة جاءتني بعد ظهر اليوم. من ؟ !

- خذ واقرا يا سيدي . وقدم إلى مسيو " فانو" الرسالة التي تسلمها اخيرا .. فاختطفها هذااختطافا .. والقى نظرة على التوقيع. وظهرت عليه اولا علامات الدهشة .

ولكنه ما لبث ان انفجر ضاحكا .

ساله " رينين " :

- لماذا تضحك .

ياسيدي ؟

فهتف مسيو "فانو" وهو لايزال يقهقه :

- إنني اضحك لان هذا التوقيع هو توقيع زوجتي .. ومن المضحك أن يتطرق إلى ذهنك ان زوجتي هي المرأة ذات المطرقة .

ولاحظ " رينين " ان الرجل قد ظهرت عليه حقا غلامات الارتياح الصحيح فساله :

- هل كنت تخشى ان يكون كاتب هذه الرسالة شخصا آخر ؟

- كلا .. ولكن مادامت الرسالة من زوجتي فإن .. وكف عن الكلام فجاة .

ونظر إلى البرنس " رينين" بحدة ثم استطرد بلهجة جدية :

- عفوا ياسيدي .. قلت لي إنك تسلمت رسائل عدة ردا على الإعلان الذي نشرته في الصحف .. فلماذا خطر لك ان رد زوجتي دون الردود جميعها يحتمل ان يرشدك إلى الحقيقة ؟

- لأنني قرات في ذيل الخطاب اسم مدام " فانو ". ومدام " فانو" كانت تستخدم إحدى الضحايا كصانعة ثياب . واعني بالضحية الآنسة " هونورفين فرنيسيه " .

- من قال ذلك ؟؟

- إن الصحف اذاعت ذلك غداة العثور على جثة الفتاة التعسة .

- الم تحضر إلى هذا المنزل باي دافع آخر ؟

- كلا .. ولكن شعوري باني وقعت على أثر مفيد .. هذا الشعور قد ازداد منذ وضعت قدمي في هذا المنز ل ؟

-كيف ذلك ؟

- لا أعلم .. هذا شعورداخلي .. مقترن ببعض ملاحظات سريعة.فهل استطيع مقابلة مدام " فانو" ؟

- زوجتي ؟ بالتاكيد .. لقد كنت اقترح عليك هذا . لترى بعيني راسك أن زوجتي ليست مجنونة .

قال ذلك . وطلب إلى "رينين" ان يتبعه فاجتازا رواقا فسيحا .

انتهى بهما إلى غرفة استقبال صغيرة . وجدا فيها سيدة شقراء جميلة تداعب اطفالها الثلاثة .

وقد نهضت السيدة حالما راتهما . فقدم إليها زوجها البرنس " رينين" ثم سالها :

- هل أنت التي بعثت بهذه الرسالة يا " سوزان " ؟ ور أت الرسالة في يده فهتفت في الحال :

- تعني رسالتي إلى الآنسة "هرمين" بشارع " هوسمان " ؟ نعم . انت تعلم ان طاهيتنا تركت الخدمة منذ يومين واننا في حاجة إلى طاهية اخرى .

فقال " رينين " :

- عفوا يا سيدتي . ولكن كيف عرفت عنوان هذه الطاهية ؟ فاحمر وجهها ولكن زوجها قال بإصرار:

-اجيبي يا" سوزان " ممن عرفت هذا العنوان ؟

- فترددت الزوجة لحظة ثم اجابت : من مربيتك العجوز ، إنها أتصلت بي تليفونيا . فقاطعها زوجها :

مربيتي"فكتورين" ؟

- نعم .

وهنا قطع مسيو " فانو" الحديث فجاة وعاد بالبرنس " رينين" إلى الغرفة الأولى دون ان يسمح له بإلقاء أسئلة اخرى . قال له :

- هانت ترى يا سيدي انه كان من الطبيعي جدا ان تطلب زوجتي طاهية اخرى غير التي تركت خدمتها ومن المؤكد ان مربيتي "فكتورين" وهي عجوز تقيم في ضواحي " باريس" وتنفق من مرتب ضئيل اوقفته عليها ما بقيت على قيد الحياة .. اقول من المؤكد أن مربيتي "فكتورين" قرات الإعلان الذي نشرته فاتصلت بزوجتي تليفونيا . وصمت لحظة ثم عاد فاستطرد وهو يحاول الابتسام

- والآن هل تعتقد ان زوجتي هي المراة ذات المطرقة ؟

- كلا .

- إذن فلنعتبر الموضوع مفروغا منه ، لقد افسحت لك صدري منذ البداية . ومن دواعي اسفي انني لا استطيع الآن مساعدتك بشيء . قال ذلك و اوما باصبعه نحوالباب كانه يود ان يعجل زائره بالانصراف . وهم " رينين" بالخروج ولكن حانت منه نظرة فجائية إلى وجه مسيو "فانو" فالفاه منقلب السحنة شاحب اللون . نظر إليه طويلا كما ينظرالإنسان إلى خصم له يوشك ان يتداعى وينهار. واصبحت صدمة واحدة كافية لأن تهدمه .

فامسك بساعده بقوة وقال له بصوت اجش :

- يا مسيو " فانو" إنك إذا لم تتكلم ، وإذا لم تفصح بما عندك ، فإن "هورتنس دانيل " ستقتل شر قتلة ..

- ولكن ليس عندي ما اقوله يا سيدي ..

- بل عندك ما تقوله ياسيدي ، هناك اشياء تعرفها ولا تريد ان تقولها ، والدليل على ذلك ما ارى الآن من دلائل خذلانك وتداعيك ، إنني جئت لمجرد الاستعلام ، ولكنني اشعر الآن بان في استطاعتك ان توفرعلي الكثير من المتاعب والآلام ، فتكلم ياسيدي فالوقت ثمين .

- وماذا يحملني على الصمت ياسيدي ، إذا كنت اعرف شيئا؟

- ربما تصمت تجنبا للفضيحة ، إنني اشعر بان في حياتك ناحية تريد ان تسدل عليها ستارا . فلم يجب مسيو " فانو".

اقترب منه "رينين" خطوة اخرى . وقال وهو يحدق إلى عينيه :

- تكلم يا سيدي وقل الصدق ، وثق بانه لن تحدث فضيحة . إنني يهمني كما يهمك ان يبقى كل شيء طي الكتمان . لانني احب هورتنس دانيل " . ولا اريد ان يتصل اسمها بهذه الجرائم المخيفة .

- انت مخطىء ياسيدي . إنك تتصوراشياءلا وجود لها .

وهنا ملك "رينين" شعور بان هذاالرجل إذا اصر على صمته

الأحمق هلكت " هورتنس دانيل ". استولى عليه غضب شديد فاطبق بيده على عنق " فانو" ودفعه دفعة قوية على الأرض . صاح بصوت كالرعد :

- كفى كذبا ، إن حياة امراة في خطر ، فتكلم ، تكلم او ..

* * *

وقد جردت هذه الهجمة الفجائية مسيو " فانو" من إرادته فغمغم:

- الحق معك ، من الإنسانية والواجب ان اعترف لك بكل شيء ، مهما حدث بعد ذلك .

- لن يحدث شيء. اعدك بالا يحدث شيء بشرط ان ننقذ "هورتنس دانيل" فتكلم ، وتجنب الإسهاب ، إن دقيقة واحدة قد تكلفهاحياتها . تكلم . واسرع .

فجفف مسيو"فانو" العرق المتصبب من جبينه وقال في هدوء :

- إن " سوزان ". اعني السيدة التي رايتها الآن والتي قلت لك إنها زوجتي ، هذه السيدة ليست زوجتي الشرعية اما زوجتي الشرعية التي لها دون غيرها كل الحق في ان تحمل اسمي وتنتمي إلي ، هذه الزوجة الشرعية قد اقترنت بها عندما كنت موظفا صغيرا في المستعمرات . كانت امراة غريبة الأطوار ، ضعيفة القوى العقلية ، شديدة الانفعال سريعة الحساسية. وقد رزقت من هذه الزوجة بتوءمين . كانت تحبهما حب عبادة . وقد اثر وجود هذين التوءمين في حالتها النفسية والمعنوية تاثيراعجيبا . ولكن حدث ذات يوم أن كان التوءمان يلعبان امام المنزل فمرت سيارة فصدمتهما معا صدمة قضت عليهما تحت سمعهاوبصرها فجنت المسكينة في الحال وكان جنونها من ذلك النوع الصامت الهادئ الذي تحدثت عنه في التو واللحظة . واتفق بعد ذلك انني نقلت إلى وظيفة في بلاد الجزائر فجئت بزوجتي إلى فرنسا ووضعتها في حراسة امراة عجوزامينة تدعى

فكتورين " كانت قد توفرت على تربيتي منذ صغري . وبعد عامين عرفت"سوزان "فعاشرتها معاشرة الأزواج و انجبت منها هؤلاء الأطفال الثلاثة الذين رايتهم وجميع الناس يعتقدون ان سوزان هي زوجتي فهل اضحي بها ؟ وهل اضحي بحياتها وكرامتها واقضي على مركزها في الهيئة الاجتماعية بإذاعة الحقيقة وتلويث سمعتنا بالاعتراف بعلاقتنا بهذه المآسي الجنونية الدامية ؟!

وصمت الرجل ففكر "رينين" لحظة ثم ساله :

- وما اسمها ؟ أعني ما اسم زوجتك الشرعية ؟

-اسمها "هرمانس ".

- "هرمانس " : ارايت ان اسمها يبدا بحرف الهاء ؟

- هذا صحيح : لقد لاحظت ذلك عندما اوضحت انت وجهة نظرك ، وتذكرت في ذات الوقت انهامجنونة ، فرايت ان الأدلة قوية ولم يبق عندي شك في انها المراة ذات المطرقة ، وهذا هو سبب اضطرابي ، وانزعاجي .

- ولكن بم تعلل ارتكابها هذه الجرائم المخيفة ؟؟ . هل تعاني من محنتها كثيرا ؟!

- إنها عانت اشد الآلام فيما مضى. أما الآن فإنها لاتعاني كثيرا . كانت تتراءى لها دائما جثتا التوءمين اللذين هلكا امام عينيها .. ولم تكن المأساة تبرح ذهنها ليلا او نهارا .. ففقدت نعمة النوم . فتصور هذا !!إنها لم يغمض لها جفن قط منذ هلك طفلاها .. وهذا الارق الدائم هو في اعتقادي الدافع لها على ارتكاب جميع الجرائم ..

- لست افهم الصلة بين الارق والجريمة .

- انت لا تفهم .. لانك لست مجنونا.. ولأن احدالايعلم ما يدور بخلدالمجانين . - ولكن ..ماالصلة بين الأرق والجريمة ؟؟ ففكر مسيو " فانو" لحظة ثم قال :

- حسنا .. ساوضح لك هذه الصلة على قدرما استطيع . لقد حدث ذات يوم منذ عامين ان مربيتي "فيكتورين" وجدتها نائمة لأول مرة منذ قتل التوءمان .. ولكنها كانت نائمة وبين يديها جثة كلب صغير خنقته باصابعها وقد تكرر هذا الحادث ثلاث مرات . فكانت " فكتورين " كلما جاءت بكلب لحراسة المنزل .. وجدته بعد يوم أو ايام مخنوقا بجانب زوجتي النائمة .. وقد فهمت من ذلك أن عملية قتل الحيوان تحدث في نفسها من الانفعالات ما يخدر اعصابها . ويلقي بها في لجة النوم بعد هذا الأرق الطويل .. فعمدت إلى الكلاب تقتلها الواحد تلوالآخر . ولكن لم يخطر لنابيال في أي وقت أن يزين لها جنونها قتل الآدميين كما كانت تقتل الحيوانات ..

- وهل كان نومها يستمر طويلا ؟

- نعم .كانت تنعم بالنوم ليالي عدة .. وفي اعتقادي ان الارقام التي وجدت مسجلة امام اسماء الضحايا تدل على عدد الايام التي صور لها عقلها السقيم انها ستهنا فيها بالنوم العميق عقب ارتكاب الجريمة .

فهتف "رينين":

-هذا مخيف .. هذا مخيف .. هلم بناإليها .

واندفع الاثنان نحو الباب .. ولكنهماما كادا يصلان إليه حتى دق جرس التليفون . تردد مسيو "فانو" لحظة .قال :

- إنها " فكتورين " تتكلم من هناك ...

- فكتورين ؟؟ مربيتك ؟؟

- نعم .. إنها تتصل بي تليفونياً في مثل هذه الساعة من كل يوم كي تنقل إلي انباء زوجتي .. وتناول إحدى السماعتين .... وقدم السماعة الثانية إلى البرنس " رينين" . الذي راح يهمس في اذنه بالاسئلة التي يتعين عليه أن يلقيها على المربية . وفيما يلي نص الحديث :

- اهذه انت يا" فكتورين" ؟؟ كيف حالها ؟!
- إنها على ما يرام ياسيدي
- هل تنام نوما هادئا ..
- لقد كان نومها مضطربا في الأيام الأخيرة ... واستولى عليها الارق ليلة امس فلم يغمض لها جفن .. ولاحظت عليها في صباح اليوم التجهم وعدم الاستقرار .
- وماذا تفعل الآن ؟؟
- إنها في غرفتها .
- اذهبي إليها يا " فكتورين ".. ولازميها ولا تد عيها تغب عن بصرك .
- هذا مستحيل يا سيدي .. لانها اغلقت الباب من الداخل .
- كلا يا " فكتورين " .. لازميها . حطمي باب غرفتها وادخلي .. ساحضر حالا .. الو .. الو .
يا لله .. لقد قطعت المكالمة التليفونية. هلم بنا . ومرق الرجلان من الباب بسرعة البرق .. وهبطا السلم . حتى إذا نفذا إلى الخارج دفع "رينين" زميله إلى داخل السيارة وساله :
- اين تقيم زوجتك ؟!
- في (فيلا إفراي) .
فصاح "رينين" بسائق سيارته :
- اسرع يا" كليمان" ... إلى (فيلا إفراي) بسرعة البرق . ولما انطلقت بهما السيارة تنهب الأرض نهبا .. التفت "رينين" إلى مسيو فانو" وقال له :
- إنك حملت نفسك مسؤولية جسيمة يا سيدي ... لماذا تترك مخلوقة مفترسة كهذه المراة بعيدة عن الرقابة ؟؟
فلم يجب مسيو " فانو". كان ياسه.. وامتقاع وجهه.. وارتجاف يديه ..دليلا على ندمه واسفه ...غمغم بعد لحظة :
- إنها خدعتني يا سيدي .. كنت اراها دائما هادئة وديعة ...

وبعد ... فإنها كانت ولاتزال تقيم في احد المستشفيات .

فهتف "رينين ":

- في أحد المستشفيات !!! كيف استطاعت إذن ان ..

- إن المستشفى الذي تقيم فيه يتكون من عدة منازل صغيرة تفصل بينها حدائق مترامية . والمنزل الصغير الذي تقيم فيه يقع في احد اركان الحديقة . وهو يتكون من الغرفة التي تقيم فيها " فيكتورين " . وغرفة زوجتي " هرمانس " . وهناك بعد ذلك غرفتان اخريان منعزلتان تطل نوافذ إحداهما على الحقول . وفي اعتقادي انها جعلت من الغرفة المطلة على الحقول سجنا لضحاياها .

- والمركبة ؟ المركبة التي اعتادت ان تنقل فيها جثث قتلاها ؟

- إن اصطبل المستشفى حيث توجد المركبات والخيول قريب من منزل زوجتي . ولا شك ان "هرمانس " اعتادت ان تلقي بالجثث من النافذة. ثم تشد احدالجياد إلى إحدى المركبات . و تنطلق في مهمتهاالليلية المخيفة .

- والمربية .. "فيكتورين " ...

- إنها امراة متقدمة في السن ثقيلة السمع .

- ولكنها ترى سيدتها نهارا وهي تروح وتجيء وتعمل ... الا تعتقد في وجود تواطؤ بين المراتين ؟؟

- كلا.. كلا .. انا واثق ان " فكتورين" قد خدعت مثلي بمظاهرهدوئها ودعتها.

- ولكن لا تنس أن " فكتورين " هي التي اتصلت بزوجتك تليفونيا بصدد الإعلان الذي نشرته في الصحف ...

- إن " هرمانس " تقرا الصحف .. ولا ادرى مبلغ فهمها لما تقرا . ولكن من المؤكد أن الإعلان الذي نشرته الصحف لفت نظرها ... لأنه يتضمن اسما يبدا بحرف (الهاء) ... ولابد كذلك انها علمت من " فكتورين " اننا نبحث عن طاهية . فطلبت إليها ان تتصل بنا

تليفونيا ..

- هذا كلام معقول .. لقد أرادت التعسة أن تمهد لفريسة جديدة تفتك بها بعد " هورتنس" .. ولكن ترى ما الطريقة الشيطانية التي اعتادت أن تجتذب بها النساء إلى حتوفهن ؟ ! وساد الصمت بين الرجلين بعد ذلك ، وكان "رينين" في أشد حالات القلق خوفا من أن يصل بعد فوات الوقت . راح يصيح بسائق السيارة :

- اسرع يا " كليمان " .. اسرع .

ووصلت السيارة أخيرا إلى (فيلا إفراي) وجعل مسيو " فانو" يرشد السائق إلى طريق المستشفى .وأخيرا وقفت السيارة أمام طائفة من المنازل متفرقة وسط حديقة مترامية الأطراف .وهناك أشار مسيو " فانو" إلى نافذة تطل على الحقول وقال بصوت أجش :

- ها هي ذي نافذة إحدى الغرفتين المنعزلتين . وكان ارتفاع النافذة عن الأرض لا يزيد على متر واحد . قال "رينين" :

- ولكني أرى بالنافذة قضباناحديدية .. فكيف تستطيع زوجتك الخروج والدخول من بين القضبان .

- لا بد أن في استطاعتهارفع قضيبين أو أكثر .فاقترب "رينين" من النافذة . وفحصها وقال :

- هذا صحيح . يوجد قضيبان متحركان يمكن إزالتهما بسهولة. قال ذلك .

وراح يعالج القضيبين حتى أزالهما ثم وثب إلى النافذة . ومنها إلى الغرفة وتبعه مسيو "فانو" عن كثب .

وما كاد الرجلان يستقران داخل الغرفة حتى وقعت أبصارهما في أحد أركانها على امرأتين إحداهما ممدة على وسادة كبيرة . والأخرى جالسة بالقرب منها . هتف مسيو " فانو"

- هاهما ..

- ورأى" رينين" صاحبته " هورتنس" ممدة على الوسادة ، وقد شد وثاقها . ورأى بيد المرأة المجنونة تلك المطرقة المخيفة التي

جعلت منها سلاحها في ارتكاب جرائمها . وراتهما المجنونة فنهضت واقفة وراحت تحملق في فزع . فمد " رينين"يده في جيبه واخرج مسدسه بسرعة البرق.

هتف مسيو " فانو" متوسلا :

- استحلفك بالله الا تطلق عليها الرصاص .. فاجابه " رينين":

- إنني لا اتردد لحظة متى قضت الضرورة بإطلاق النار.. وما كاد يفرغ من كلامه .. حتى راى المجنونة تنظرإليه في فزع .. وتهم بالانقضاض عليه . اطلق عليها النار في غير تردد .. قاصدا إرهابها لا قتلها .. فمرت الرصاصة بالقرب منها ..ولكنها لم تصبها .. وانتهز فرصة الذعر الذي استولى عليها .. فهجم عليها .. ولكنها ارسلت صرخة مدوية .. وفتحت الباب واندفعت منه إلى الخارج..فتبعها " رينين" والمسدس لايزال في يده استعدادا للطوارئ وشعرت به المجنونة فراحت ترسل صيحات عالية اشفق " رينين" أن تحدث ضجة في المستشفى وتؤدي إلى الفضيحة التي يريد الجميع اجتنابها مهما كلفهم نلك .. فانقض على المجنونة وحملها بين ساعديه كما يحمل طفلا صغيرا .. ووضع يده على فمها ليمنعها من الصراخ .. وعاد بها إلى حيث كان زوجها . بيد أنها تمكنت من أصابع يده فعضتها عضة جعلته يصرخ متالما افلتها على الرغم منه -- .. فاندفعت نحو الخارج .. وطاشت البقية الباقية من عقلها بتاثير الخوف والهلع .. وظلت تتلفت خلفها وهي تعدو خوفا من مطارديها وكانت النتيجة ان ارتطم راسها باحد الابواب ارتطاما شديدا .. فسقطت على الارض لاتعي... ولم يعبا بها "رينين"وصاحبه . بل كان كل اهتمامهما موجها إلى"هورتنس" .. فالصق " رينين" إذنه فوق صدرها واستمع إلى دقات قلبها وتهلل وجهه بشراحين وجدها على قيد الحياة .كانت في حالة إغماء شديد فاسرع إلى وثاقها فحله . وراح يفرك صدغيها بسرعة حتى افاقت وفتحت عينيها . اجالت الطرف حولها ببطء . واستقرت

عيناها على وجه "رينين" ومرت على شفتيها ابتسامة طفيفة .
غمغمت تقول :
- كنت انتظرك بفروغ صبرولم اقطع الأمل في النجاة. واغمي عليهامرة اخرى ..

* * *

حملها "رينين " بين ساعديه . وهم بالخروج . ومر في طريقه بمسيو "فانو " والعجوز " فكتورين ." كانا جاثيين بالقرب من المجنونة الآثمة . ثم ما لبث مسيو " فانو" ان نهض واقفا . وخلع قبعته . ولاحظ "رينين" ذلك فساله بصوت خافت:
- ماذا بها ؟؟
فاجاب (فانو) في شيء من الذعر والأسى :
- إنها ماتت . كانت الصدمة شديدة ولابد انها احدثت نزيفا في المخ .

* * *

وقد استردت "هورتنس" صحتها بسرعة وانتهز البرنس " رينين" فرصة زيارته لها في اليوم التالي . وسالها في لباقة عن الظروف التي جمعت بينها وبين تلك المجنونة فاجابت .
- الأمر سهل غاية السهولة . فانت تعلم ان زوجي مصاب بضعف في قواد العقلية . وانه يعالج في مستشفى (فيلا إفراي) وانا ازوره خلسة من وقت إلى آخر .. وفي اليوم الذي تواعدنا فيه على اللقاء ... خطر لي ان ازوره .. فكتبت إليك رسالة اعتذر فيهاعن عدم الحضور . ولكني نسيت هذه الرسالة في حقيبتي .. ولم ابعث بها إليك .
وقد قصدت إلى (فيلا إفراي) وكنت قد قابلت هذه المراة التعسة قبل ذلك وتحدثت إليها . فلما رايتها في ذلك اليوم اشارت إلي من نافذتها وطلبت إلي ان ازورها . و لكني لم اكد ادخل .. حتى انقضت علي . وكان هجومها فجائيا . فلم اتمكن من الدفاع

عن نفسي .. بل ولم اتمكن من الصياح والاستغاثة .. وقد شدت وثاقي والقت بي في غرفة خالية . ومنعت عني الطعام .. ولكنها كانت فيما عدا ذلك تعاملني بالحسنى . ثم ابتسمت وضغطت على يد "رينين" . وغمغمت :

- ولكني كنت واثقة من انك ستخف إلى نجدتي .

* * *

-٥-

البرنس ... أرسين لوبين

غادر مفتش البوليس(بيشو) قطار (دنجون) عند محطة " جيريه " واستاجر في الحال مركبة قصد بها إلى مدينة (مازوريخ) وهي مدينة صغيرة .. ولكنها تعتبر من اقدم المدن في وسط فرنسا . وقد وقفت به المركبة امام قصر" داليسكار" فخف الخدم لاستقباله وما هي إلا لحظة حتى اقبل عليه مسيو " جورج كازيفون " صاحب القصر وهو رجل متوسط القامة في نحو الاربعين من عمره مشهور بانه من اغنى اهل الناحية . وان له صلة وثيقة بكثير من الساسة ... والعظماء .

* * *

كان قصر "داليسكار"العتيق يتالف من بناءين مستقلين .. يفصل بينهما جدار قديم متهدم يبلغ ارتفاعه ٥ر١ إلى ٨ ر١ متر.... وكان لاضخم البناءين برج عظيم وشرفة واسعة بديعة تطل على الحديقة المترامية التي تتخلل ابنية القصر وتحيط به ... وتشرف على القناة العميقة التي تقسم هذه الحديقة إلى شطرين .. وقد طلب المفتش " بيشو " إلى" جورج كازيفون" ان يذهب به في الحال إلى المكان الذي لقي فيه " داليسكار " حتفه ... فقصد به مسيو " كازيفون " إلى القناة . واشار إلى الصخرة التي وجدت عندها جثة الكونت الشاب . وقال إن الجثة وجدت في الساعة السادسة صباحاً منذ ستة ايام ممددة فوق الصخرة . وليس بها من إصابات اخرى غير جرح في الراس من تاثير السقوط على تلك الصخرة .. ثم اشار إلى غصن محطم مدلى من شجرة مرتفعة باسقة .. وقال : إن ذلك الغصن يفسر الفاجعة و يوضح ما خفي منها . فالكونت الشاب تسلق الشجرة بغير شك .. ولكن الغصن لم يحتمل ثقله فتداعى ... وسقط الفتى في الماء .

ولكن رأسه ارتطم في تلك الصخرة .. فحدثت الوفاة .
سأله " بيشو " :
- ولكن ماذا كان الكونت الشاب يفعل فوق تلك الشجرة ؟؟
-أعتقد انه اراد ان يلقي على الجناح الثاني من القصر نظرة عامة شاملة . لان ذلك الجناح هو مهد اسرة " داليسكار ".
وصمت مسيو كازيفون" لحظة ثم عاد فاستطرد :
- ولعلك يا سيدي المفتش لست في حاجةإلى ان اقول لك إنني الذي طلبت إلى إدارة الامن العام ان تبعث إلينا باحد رجالها لتحقيق هذا الحادث بصفة قاطعة . فالحادث وقع بالقضاء والقدر كما تدل على ذلك جميع الشواهد .. ولكن السنة السوء كثيرة.

وقد راجت في الأيام الأخيرة إشاعات سيئة مزعجة . فاردت ان اضع حدا لها . بوضع الامر بين ايدي رجال البوليس . ولذلك ارجوك يا سيدى ان تقوم بمهمة التحقيق على الوجه الاكمل . وان تستجوب بصفة خاصة الآنسة " إليزابيث داليسكار" شقيقة الشاب الذي لقي مصرعه فوق هذه الصخرة . ولم يضع " بيشو " الوقت هباء . فدار بالقصر مرة اخرى . وتفقد غرفه ثم قصد إلى المدينة حيث استجوب من رأى ضرورة استجوابهم . وزارالقس . وتناول طعام الغداء في المطعم . وعاد إلى القصر في الساعة الثانية.وقصد إلى الجناح الذي تقيم به الآنسة "إليزابيث داليسكار " وطلب ان تسمح بمقابلته . وذهبت به إحدى الخادمات إلى غرفة الآنسة " داليسكار " .. فوجدها هناك تتحدث مع شاب طويل القامة .. نحيفها .. لم يلق باله اول الامر. إلى ذلك الشاب بل قصد توا إلى الفتاة وقدم إليها نفسه . وقال لها باختصار إنه مكلف بإجراء تحقيق في حادث وفاة الكونت "جان داليسكار". ولما فرغ " بيشو " من كلامه .. اجابته الفتاة :
- إنني علي استعداد للإجابة عن اسئلتك يا سيدي .. ولكن

دعني قبل كل شيء اقدم إليك هذا الصديق .. فهو مثلك على استعداد للتغلغل في هذه القضية حتى اعماقها .. وقدمت كلا من الرجلين إلى الآخر بقولها .

- البرنس " سيرج رينين " .مسيو .. مسيو .. ما اسمك ياسيدي ؟ ! آه.. مسيو " بيشو" .. مفتش البوليس . فرفع "بيشو عينيه إلى وجه البرنس " رينين" .. وبسط إليه في ذات الوقت يده .. ولكن لم يكد يستقر بصره على وجه البرنس ويرى الابتسامة الطفيفة التي تلاعبت على اركان شفتيه .. حتى سقطت يده إلى جنبه . وراح يحدق نحو " رينين" بحدة .. بيد أن هذا تقدم بسرعة ولباقة .. وتناول يد " بيشو " وهزها بشدة وهو يقول :

- إنني سعيد بمقابلتك يا مسيو .. يا مسيو "بيشو "... وفتح "بيشو" فمه ليتكلم .. وتحركت شفتاه ولكن لم يصدر منهما صوت.ولا حظ في الحال أن " اليزابيث داليسكار" تنظر إليه كانما ادهشها جموده .. فغمغم قائلا :

- الم ... الم نتقابل في مكان آخريا سيدي البرنس ؟؟

فاجاب " رينين" في اد ب :

- لا اذكر انه كان لي شرف مقابلتك ياسيدي .. وانا سعيد بهذه الفرصة التي اتاحت لي التعرف بانشط مفتشي بوليس باريس" .

قالت " إليزابيث ":

- لقد علمت صديقتي " هورتنس دانيل " بنبا الفاجعة التي نزلت بنا . فبعثت إلي بخطيبها البرنس " رينين" لتعزيتي ومعاونتي في محنتي .. وهنا التفت " رينين" إلى "بيشو" وقال له :

- إنك تحسن صنعا ياسيدي إذا بدات التحقيق باستجواب الآنسة "داليسكار " .. فإنها ذكرت لي اشياء اعتقد انها جد خطيرة .

قالت الفتاة :

- إنني في الحق كنت اوثر الصمت . ولكن إذا كان لابد من الكلام فإنني على استعداد لان اتكلم .

- قولي له يا انسة .في اية ساعة رايت اخاك اخر مرة ؟ !

- إنني رايته لآخرمرة في الساعة العاشرة مساء . اي بعد العشاء وكان سعيدا طروبا كعادته .

- هل خرج من القصر ليلا؟ !

- كلا . بل خر ج قبل الفجر بقليل . اي حوالي منتصف الساعة الرابعة صباحا . وقد سمعت خادمتنا العجوز وقع خطواته .

- هل كنت تعلمين اين ينوي الذهاب ؟ !

- إنه قال لي في المساء إن في نيته الخروج إلى المقصورة . وصيد السمك من القناة . والواقع ان صيد السمك كان احب انواع التسلية إليه .

- وإذن فانت لا تعلمين شيئا عما حدث في المدة بين منتصف الساعة الرابعة . والوقت الذي اكتشفت فيه الجثة ؟ !

- كل ما اعلمه انني سمعت طلقا ناريا في الساعة السادسة والربع .

لقد قيل لي : إن كثيرين سمعوا هذا الطلق الناري . ولكن من المحتمل ان يكون احد لصوص الصيد قد اطلق النار على ارنب بري من الأرانب التي تحفل بها هذه المنطقة .

- ذلك ماخطر لي ... ولكني مع ذلك شعرت بقلق شديد ... فنهضت من فراشي وارتديت ثيابي .

- ولاشك ان هذا الطلق الناري لم تكن له اية صلة بالحادث الذي وقع لأخيك .. بدليل ان الكشف الطبي لم يثبت وجود اثر رصاصة في الجثة ..

فترددت الفتاة و لاحظ "رينين" ترددها فقال لها .

- اجيبي .. ارجو ان تجيبي .

- مهما كان تقرير الطبيب الشرعي .. فانا واثقة ان الصلة

بين الرصاصة والحادث لا شك فيها .

- لماذا ؟؟

- لانه لا يمكن ان يكون للحادث اي تفسير اخر .

- القضاء والقدر .

- كلا .. إن الحادث لم يقع بالقضاء والقدر .. فشقيقي " جان" كان بارعا في تسلق الأشجار .. ثم إنه كان رغم حداثة سنه على جانب عظيم من الرزانة .. ولم يحدث قط انه عرض حياته للخطر بتسلق احد الأغصان الضعيفة .

- ولكن الغصن المحطم لايزال على حاله .

- ليس هناك ما يثبت ان الغصن تحطم تحت ثقله .

- إذن فانت ترين يا انسة ان في الأمر جريمة ؟!

- نعم .

- قيل لي انك تتهمين بعضهم ..

- نعم .

فنظر "رينين" نحو " بيشو " بشيء من الخبث وقال :

- في هذه الحالة يتعين على المفتش"بيشو" ان يسالك عن الدليل الذي تقيمين عليه هذا الاتهام . ففكرت الفتاة لحظة .. وبدا للرجلين ان هناك اشياء يؤلمها ان تذكرها .. بيد انها حزمت رايها اخر الامر وقالت :

- ساتكلم بصراحة ياسيدي .. ولكي يكون حديثي واضحا .. يجب ان اعود إلى حادث وقع منذ عشرين سنة . فقد حدث في ذلك العهد ان اضاع ابي كل ثروته .. بسبب جريمة تزوير و اختلاس ارتكبها احد مسجلي العقود . واضطر ابي في تلك الحالة إلى ان يلجا إلى احد الأغنياء المعروفين في هذه المدينة . فاقرضه هذا الغني مائتي الف فرنك واشترط ان يصبح هذا القصر والاراضي المحيطة به ملكا له إذا لم يتم سداد المبلغ بعد خمسة اعوام .

- هل كان ذلك الثري والد مسيو " جورج كازيفون " ؟
- نعم ..
- هل كان يهمه الاستيلاء على هذا القصر ؟؟
- نعم .. وقد حاول مرارا ان يبتاعه .فلما توفي والدي بالسكتة المخية بعد اربعة اعوام واحد عشر شهرا من إبرام صفقة القرض.

اخطر ذلك الغني عمنا والوصي علينا . بانه لم يبق امامنا غير شهر واحد لسداد المبلغ وإلاتعين علينا إخلاء القصر .

ولم يكن والدي قد خلف مالا . فطردوني مع اخي "جان" من القصر وكان عمي يملك هذا البناء الصغير .. فاواني عنده .. ولكنه توفي بعد اشهر قلائل .. كما توفي على اثره والد مسيو "جورج كازيفون "

وكان " رينين" " وبيشو " قد اصغيا بانتباه إلى هذه القصة . فقال الأول :

- يخيل إلي أن مسيو " بيشو" لا يرى صلة بين هذه القصة . وحادث مصرع " جان داليسكار " . نظرت " إليزابيث " إلى مفتش البوليس بمزيج من الدهشة والاحتقار واستطردت :

- اقمت مع اخي "جان" في هذا البناء الصغير الذي انشاه اسلافنا . وقد آلم "جان" أن يفلت زمام القصرمن ايدينا .. وكان المه يزداد كلما كبر وترعرع . كان " جان شديد الشغف بالعمل إلى جانب ولعه بالألعاب الرياضية . وكان ينتهز فرصة فراغه لفحص اوراق الأسرة ودفاترها . ومخلفات ابي واجدادي . وقد حدث انه عثر في احد الكتب على ورقة كان ابي يسجل عليها حساباته في الأعوام الأخيرة .وقد وجد برفقة هذه- الورقة وثيقة من احد المصارف .. تثبت ان ابي ادخر سرا في ذلك المصرف مبلغ مائتي ألف فرنك .. فقصدت مع اخي إلى ذلك المصرف . ولكن قيل لنا هناك إن والدي سحب هذا المبلغ قبل اسبوع من وفاته . - وهو

بالضبط المبلغ الذي كان يتعين عليه ان يدفعه بعد أيام لسداد دينه .. وإنقاذ قصره و املاكه .

- اعتقد ذلك .

- لماذا لم يدفع دينه إذن ؟؟

- لا اعلم .

- اتعتقدين ان والدك وضع هذا المبلغ في مخبا ما ؟

- نعم ..

- أين ؟؟

فقدمت الفتاة إلى " رينين" و" بيشو " دفترا صغيرا يتكون من عشرين صفحة قد سجلت عليها ارقام عديدة .. واشارت إلى رسم في الصفحة الأخيرة من هذا الدفتر وقالت :

- الجواب عن هذا السؤال يجب ان يكون هنا .. وكان الرسم يمثل ثلاثة ارباع دائرة بداخلها نصف دائرة اصغر منها . وقد قسم نصف الدائرة بخطين وضع بينهما صليب .

سالها " رينين" .

- ما معني هذا الرسم ؟!

- إننا قضينازمنا طويلا في معالجة هذا السر. إلى ان لاحظ اخي " جان " ان الرسم يمثل القصر الكبير . وان الخطين المتقاطعين يمثلان دهليزين من دهاليز القصر .

فقال " رينين" :

- اما علامة الصليب فتمثل البرج الذي اخفى فيه الكونت داليسكار" الكبير مبلغ المائتي الف فرنك استعدادا لدفعها لدائنه في اليوم المقرر .اليس كذلك ؟

- بلى .

ففكر " رينين" لحظة . وراح يفحص ذلك الرسم بعناية . ثم قال:

- هذا ممكن .. نعم. من المحتمل ان يكون والدك قد اخفى المبلغ

في هذا المكان .. ولكن الموت فاجاه قبل ان يتمكن من إخطار احد بالمكان الذي اخفى فيه المبلغ .

ولكن إذا صح هذا فإنه كان يكفي ان تخطري مسيو "جورج كازيفون" بالحقيقة .. وتطلبي إليه الترخيص لك بالصعود إلى برج قصره والبحث هناك عن اموال ابيك .

- ذلك ما فعلناه .. وعلى الرغم من ان العلاقات بيننا وبين مسيو كازيفون" كانت فاترة ... فإنه استقبلنا بلطف . ولكن كيف كان يمكن الصعود إلى البرج بعد إذ تهدم السلم المؤدي إليه ؟

قال لنا مسيو " كازيفون " إن السلم انهار منذ مدة .. وان إعادة بنائه تكلفنا كثيرا ..

- هل احبك مسيو " كازيفون " . وطلب إليك ان تقترني به ؟ ..

فاحمرت وجنتا الفتاة واجابت :

- نعم ولكني رفضت . فنقم علينا بسبب هذا الرفض وساء ت معاملته لنا . وحظر على اخي دخول ارضه وقصره والقيام باية محاولة للوصول إلى البرج . بيد ان اخي لم يقطع الأمل كان في نيته الحصول على المبلغ مهما كلفه ذلك لكي يبتاع بعض الأملاك التي فقدناها ثم لكي يعد لي بائنة (دوطة) تساعدني على الزواج وقد قام بمحاولات كثيرة للوصول إلى البرج رغم رفض مسيو كازيفون" . بيد ان فشله المتوالي لم يدخل الياس على نفسه .

وقد فكر اخي في صنع سلم من الحبال يشد إلى حافة البرج بواسطة خطاف قوي . واعد لهذا الغرض بالفعل قطعة من الحبل يربو طولها على الستين مترا .

فسالها البرنس " رينين" بقوله :

- هل تعتقدين بصفة نهائية ان اخاك قتل وهو يقوم بمحاولة جديدة للوصول إلى البرج حيث يعتقد بوجود مال ابيه ؟

- نعم والدليل اننا لم نعثر على اثر لقطعة الحبل التي اعدها لمغامرته .

- وما الدليل على ان اخاك قتل ؟!

- الطلق الناري . وفي اعتقادي ان "جورج كازيفون" فاجا اخي وهو يحاول الوصول إلى برج القصر فاطلق عليه الرصاص .

فصاح " رينين" :

- اتعتقدين ان مسيو " كازيفون " من الرجال الذين يقدمون على ارتكاب الجرائم ؟!

- نعم . اعتقد ذلك .. إنه رجل شديد الاندفاع .. تصيبه في بعض الاحيان نوبات تسوقه إلى شتى ضروب العنف والقسوة..

- ولكن ما غرضه من إطلاق النار على اخيك ؟ اهو للاستئثار بالمبلغ الذي كان اخوك يعتقد بوجوده ؟

- لاعلم لي بذلك . ولا بالطريقة التي ارتكبت بها الجريمة ، لان فحص الجثة لم يثبت وجود اي اثر من اثار العنف .

بيد ان ذلك لا يمنعني من القول بان ثقتي في وجهة نظري لاحدلها .

فقال " رينين" في لطف :

- ولكن يجب ان تعترفي بان اتهاماتك لا تقوم على غير الريبة . والشعور الشخصي.لاعلى الوقائع والادلة الحسية . وهذا لايكفي من الناحية القانونية .ولا يبعد في هذه الحالة ان يقاضيك مسيو " كازيفون " بتهمة القذف في حقه . اليس كذلك يا مسيو " بيشو"؟!

فنهضت "إليزابيث" وهي تقول :

- لا يهمني ان يسوقني إلى القضاء .. إنني لم اقل ما قلت بقصد الانتقام لاخي المسكين الذي لن يرد عليه عقاب الجاني نعمة الحياة .. ولكني قلت ماأعتقد انه الحقيقة . وصمتت لحظة .. ثم عادت فاستطردت : - ولكن كن على يقين ياسيدي من انه سيلزم الصمت . وانتهت المقابلة عند هذا .. فقال " رينين" وهو يستاذن في الانصراف :

- أرجو المعذرة يا انسة إذا كنت قد اثقلت عليك بالأسئلة .. ولكن

اطمئني إلى ان مسيو " بيشو " سوف لا يدخر وسعا للوصول إلى الحقيقة .. إني تشرفت اليوم بمعرفته لأول مرة .. ولكني سمعت وقرات عنه في الصحف الشيء الكثير .

وحياها وانصرف .. وحذا " بيشو " حذوه .. ولحق به عند الباب الخارجي .. وناداه بقوله :

– سيدي .

– نعم .

– لي سؤال احب ان القيه عليك .. وارجو المعذرة عن إلحاحي هل انت واثق اننا لم نلتق قبلا ؟؟

فابتسم البرنس "رينين" واجاب :

– إذا كنت واثقا من اننا تقابلنا قبل الآن .. كان ذلك اصح لانني في الواقع مصاب بضعف الذاكرة .. ولكن حدثني يا مسيو بيشو" .. الا ترى معي ان في اقوال الآنسة " داليسكار " ما يصلح اساسا للبحث والاستقصاء ؟ إنني اشعر وإن بدا لك ذلك مستحيلا ان شقيقها استطاع بطريقة ما ان يصل إلى البرج في تلك الليلة . انا واثق من ذلك .. ولكن المسالة الآن . هي كيف استطاع هذا الشاب وباية معجزة تمكن خلال ساعتين من ان يجد وسيلة للصعود إلى البرج فينفذ خطته. ويصعد . ثم يهبط .. ويهوي في الفضاء .. بتاثير طلق ناري لم يصبه ؟

وصمت البرنس لحظة . ثم عاد يغمغم كانه يحدث نفسه :

– نعم .. طلق ناري لم يصبه .. وتقابل "بيشو" و" رينين" في مطعم القرية حيث تناولا طعام العشاء منفردين وتقابلا في هذا المطعم في مواقيت الطعام في اليومين التاليين .

وكان" بيشو " يقضي وقته في عمل التحريات والاستعلامات .. اما "رينين" فراح يطوف بالقصر وحديقته و بالبناء الصغير الذي تقيم فيه الآنسة "إليزابث داليسكار " وإذا ادركه الملل عمد إلى صيد السمك او إلى التدخين بمعزل عن سائر الناس . وفي اليوم

الثالث قصد " رينين" إلى مدينة " جيريه" حيث توجد المحطة. وقد ذهب إلى هناك بهيئة الرجل الذي يعرف غرضه حق المعرفة . وفي اليوم الرابع تقابل مع " بيشو " في المطعم فقال له هذا :

- لقد فرغت من التحقيق . فاجاب " رينين" :

- وانا كذلك قد جمعت .. طائفة من المعلومات تهم الآنسة إليزابيث " التي هي من اقدم اصدقاء خطيبتي . ومن زميلاتها في عهد الدراسة .

- إن في نيتي ان اعود إلى باريس الليلة .

- وانا كذلك .. وإذا شئت فإنني اصطحبك معي في سيارتي .

- حسنا ولكني على موعد مع مسيو "جورج كازيفون "بعد ثلاثة ارباع الساعة.

- إذن فسالحق بك هناك . لانني سئمت التجوال في هذه المنطقة .

وافترق الاثنان . وقصد "رينين" لتوه إلى القصر ، وقام بجولة في الحديقة ثم بعث إلى " جورج كازيفون " ببطاقة عليها هذه الكلمات :

" سيرج رينين "
مساعد المفتش " بيشو "

وقد كتب البرنس " رينين" السطر الثاني بخطه فاستقبله كازيفون " في الحال في غرفة واسعة تزين جدرانها رؤوس الوعول التي اصطادها رب القصر ، وطائفة كبيرة من بنادق الصيد . وبعض الشهادات والجوائز التي تشهد لـ" كازيفون " بالبراعة في الصيد وإصابة الهدف .

قال "رينين" محدثا صاحب القصر :

- لقد تواعدت مع المفتش " بيشو " على اللقاء عندك .. إننا قمنا معا بالتحقيق وسنرحل معا . فساله " كازيفون ":

- وما راي المفتش" بيشو " في القضية ؟

- رايه قاطع في ان الحادث وقع بالقضاء والقدر .. اما الإشاعات الأخرى فليست لها اية قيمة .

واقوال الآنسة " إليزابيث داليسكار "؟

- من راي المفتش " بيشو " ان هذه الآنسة لاتزال متاثرة بالفاجعة التي نزلت بها. وان اقوالها لا تقوم على اساس . ولاتنهض كدليل مادي امام التحقيق الدقيق .

- وهل هذا هو رايك كذلك يا مسيو " رينين" ؟

- نعم ياسيدي .وانا في الواقع لست إلامساعدا متواضعا للمفتش "بيشو". ورايي لايمكن ان يختلف عن رايه .

واخذ "رينين" يتامل مجموعة الأسلحة المعروضة على جدران الغرفة فقال " كازيفون " :

- إنها مجموعة بديعة .. اليس كذلك ؟

- بلى .

- هل انت من هواة جمع الأسلحة ؟

- نعم .. وانا شديد الإعجاب بهذه المجموعة وبهذه الشهادات

والجوائز التي تثبت براعتك في إصابة الهدف .لقد اكدلي القوم في (جيريه) انك ابرع من يصيب الهدف في هذه المنطقة كلها .

- هل يتكلمون في (جيريه) عن الحادث ؟

- عن حادث مصرع الكونت "جان داليسكار" ؟ كلا .. لم اسمع احدا يتحدث في هذا .اما براعتك في إصابة الهدف فإنها مضرب الأمثال في كل مكان .

وتناول بندقية .. وفحصها .. فقال له " كازيفون " :

- كن على حذر . فهذه بندقية ميدان . وبها رصاصتان

- وفيم تستخدمها ؟ لمقاومة الأشقياء واللصوص ؟ !

- بل لمطاردة لصوص الصيد .

- يا لله ! هل تجدالشجاعة على قتل احد هؤلاء اللصوص يامسيو كازيفون" ؟ ! فابتسم الرجل واجاب :

- إنني اقنع بإطلاق رصاصة على ساق اللص فاعجزه عن الحركة بقية حياته !

- وهل تطلق الرصاص من هذه النافذة ؟ ! قال ذلك وصوب فوهة البندقية من النافذة ثم ما لبث ان . هتف :

- انظر. إن الإنسان يستطيع ان يرى من هنا بيت الآنسة إليزابيث داليسكار " رغم الأشجار الكثيفة المتعانقة التي تحجبه .

- إنك لا ترى من هذا المنزل شيئا كثيرا .

- هذا صحيح .اترى تلك الزهرة الصفراء الواقعة عند سور الحديقة ؟

ورفع البندقية إلى كتفه في الحال . واطلقها بسرعة . فاصابت القذيفة الزهرة الصفراء واسقطتها .

فابتسم " كازيفون " ولكنه قال لنفسه : ترى ماذا يبغي هذا الفضولي من إحداث كل هذه الضجة .

ساله " رينين ":

- إن خدم القصر يقيمون في جناح متطرف اليس كذلك ؟ إ ذن لا

يسمعون مايقع هنا ... يا لله ! .. إنني شديد الأسف لأنني اطلقت هذه الرصاصة فهي تذكر الآنسة "داليسكار" بفجيعتها في اخيها
فابتسم " كازيفون " وقال :
– الا تزال الآنسة " إليزابيث " تصر على ان هناك صلة بين الطلق الناري وحادث اخيها " ؟ !
– بلى .
– ولكن .. بم تثبت وجود هذه الصلة ؟
– كما اثبت ذلك بنفسي الآن . فالواقع انه إذا اراد شخص ان يصل إلى برج هذا القصر بواسطة حبل او سلم من الحبال ممتد بين قمة البرج . وغصن إحدى اشجار الحديقة . فإن في مقدور الإنسان ان يقتل هذا الشخص برصاصة يطلقها عليه من نافذة هذه الغرفة .
– ولكن شقيقها مات بسبب سقوطه . لا برصاصة بندقية .
– ربما كان سقوطه ناجما عن انقطاع الحبل مثلا برصاصة بندقية فنظر" كازيفون " إلى " رينين " متجهما . وقال :
– لم اكن اعلم ان الآنسة "داليسكار " توجه إليّ التهمة بهذه الصراحة والدقة .
– نعم .. إن الاتهام صريح .
وهنا شعر " كازيفون " ان الحديث من جانب " رينين" قد اتخذ صيغة الهجوم والإحراج وانه اصبح لزاما عليه ان يدافع عن نفسه . اعتدل في مكانه فجاة وسال :
– وماذا تقول الآنسة في تعليل محاولة اخيها الدخول إلى برج القصر ؟
– تقول في تعليل ذلك إنه اراد الاستيلاء على مبلغ مائتي الف فرنك كان والدهما قداخفاه في برج القصر . كما يدل على ذلك الرسم التخطيطي الذي حملاه إليك .. عندما طلبا منك أن تسمح لهما بالبحث في البرج .

فقلب " كازيفون " شفته باحتقار وقال :

- لقد كنت اعتقد منذ البداية ان حكاية هذا المبلغ هي حديث خرافة . لانه إذا صح وكان ، والدهما يملك هذا المبلغ . فلماذا عمد إلى إخفائه بدلا من ان يدفعه إلى ابي . ويتخلص بذلك من ديونه ؟

- هذا الاعتراض وجيه وجدير بالاعتبار . اللهم إلاإذا افترضنا ان المبلغ المخبوء لم يكن نقدا ..

- وماذا كان إذن ؟

- هذا ما اجهله . إن المسالة لا تتعدى مجرد الظن والتخمين .

فهز "جورج كازيفون" كتفيه وقال :

- كن على يقين من ان " إليزابيث " و " جان داليسكار " قد قلبا جميع النظريات والفروض على وجوهها .

- ومن يدري ؟ اضف إلى ذلك انهما ليسا من رجال البوليس المحترفين مثلي.

- مهما كنت محترفا . فإنك لا تستطيع ان تخلق شيئا من لا شيء .

- بل إن الإنسان يستطيع ذلك في بعض الاحيان . وبهذه المناسبة هل تعرف مسيو (كريوم) متعهد بيع الصحف في محطة (جيريه) والذي كان في احد الأيام موظف حسابات في مصانعكم ؟

- بالتاكيد اعرفه حق المعرفة . وهو رجل رضي الخلق .

فقال " رينين" :

- إن هذا الرجل يزعم ان والد " إليزابيث " و"جان داليسكار" زاراكم في يوم ثبت انه اليوم التالي للتاريخ الذي سحب فيه مبلغ المائتي الف فرنك من البنك .

- وهذا معناه ؟:

- الا يدعو هذا إلى الظن بان مبلغ المائتي الف فرنك دفع إلى

والدك خلال هذه الزيارة . وان الذي خبىء في برج القصر هو إيصال استلام المبلغ . لا المبلغ ذاته ؟! فوثب " كازيفون " من مكانه وصاح :

- ولكن هل تقدر خطورة هذا القول ياسيدي ؟! الا تشعر بانه يتضمن مساسا بكرامة ابي وتلطيخا لذكراه ؟!

- وكيف ذلك ؟

- إذا كان ابي قد قبض هذا المبلغ فإنه ماكان يتردد قطعا في إعلان ذلك بكل إخلاص ونزاهة .

-ولماذا ؟ إنه لم يكن ملزمابإعلان استرداده مبلغا كهذا اقرضه بصفة خاصة. وشخصية بحتة .

فضرب " جورج كازيفون " الطاولة التي امامه بقبضة يده وصاح:

- إذا كان ابي قد استرد نقوده فمن المستحيل ان يطالب بها مرة اخرى بعد وفاة مدينه .. فقال " رينين" ببساطة :

- ولكنه فعل ذلك للأسف الشديد .

- هذا كلام حمق وجنون ياسيدي . يجب ان تحكم العقل والمنطق قبل ان تتورط في مثل هذه التصريحات الخطيرة . لأننا إذا فرضنا ان ابي كان من فساد الذمة بحيث تطوع له نفسه ان يطالب بمبلغ اخذه فعلا . - وهو ما انفيه بكل قوة - فإنه كان يجب ان يخشى ظهور إيصال الاستلام اليس كذلك ؟

فقال " رينين " بقلة اكتراث :

- ربما كان قد اتصل به بطريقة ما ان احدا من ورثة المدين لا يعلم بان المبلغ دفع . وبان هناك إيصالا بالا ستلام .. وقد قيل لي إنه كان شغوفا بهذا القصر . ويود الاستيلاء عليه مهما كلفه ذلك . فلا يبعد إذن ان يكون طمعه في هذا القصر قد اغراه بما فعل .

وشعر " جورج كازيفون " ان محدثه يتهم والده صراحة

بالنصب والاحتيال . وخراب الذمة . واكل اموال اليتامى .. فامتقع لونه . ولوح بقبضة يده في وجه ذلك الموظف الصغير الحقير الذي راح يلوث سمعة ابيه بهذه السهولة والقحة ، وصرخ :

- انني احظر عليك التحدث بمثل هذا الكلام . إنك ترسل الكلام على عواهنه دون ان تميز معناه .

- ارسل الكلام على عواهنه ؟ ! كلا اؤكد ، لك انني ازن كل كلمة قبل ان انطق بها . وإنني لم انطق حتى الآن بغير الصدق فصاح " كازيفون ": - هذا كذب وبهتان .. وانت لاتملك اي دليل على صحة ما تقول وإذا كنت تعتقد ان الدليل على جرم ابي موجود في البرج .. فهلم بنا إليه في التو واللحظة لنقطع الشك باليقين .

- لقد صعد " جان داليسكار" إلى قمة البرج .

- وهذا كذب .. فانا اتحدى اي كائن يزعم ان في إمكانه الوصول في ساعتين إلى قمة برج يربو ارتفاعه على الثلاثين مترا .. دون الاستعانة بسلم البرج ذاته ..

فقال رينين بهدوء :

- لقد فعل " جان داليسكار" ذلك . فضاق " كازيفون" ذرعاً بذلك الرجل العنيد وصاح :

- وكيف فعل ذلك "؟ ! وباية واسطة استطاع الوصول إلى قمة البرج ؟ وباية معجزة استطاع تسلق جدران لا يمكن لاحد ان يتسلقها .

- إنه تسلق البرج بواسطة حبل .

- فاغرق " كازيفون " في الضحك وصاح :

- تسلق البرج بواسطة حبل ! هذا هو الجنون بعينه لقد ضبطته في الواقع اكثر من مرة وهو يحاول ان يقذف إلى قمة البرج بخطاف مثبت في حبل . على امل ان يثبت الخطاف بقمته ويتمكن بذلك من الصعود.. ولكن كان دون ذلك خرط القتاد .

مسكين ذلك الغلام التعس .. لقد استعصى عليه ان يفهم انه وضع خطة جنونية يستحيل تنفيذها .. فما بالك إذن في تنفيذها في ساعتين ؟

وبعد .. فلو انه تمكن من صعود البرج بواسطة الحبل كما تزعم لوجدنا هذا الحبل مثبتا بحافة البرج . او ملقى على الارض .

فقال " رينين" بهدوئه العجيب الذي كان يزيد الرجل غيظا وحنقا:

- إنه لم يستخدم حبلا بالطريقة التي تتصورها . فضحك " كازيفون" ضحكة عصبية وسال :

- كيف استخدمه إذن ؟ ! . هل امتطاه و امره ان يصعد به إلى قمة البرج فصعد . تلك إذن إحدى المعجزات ؟ .

قال " رينين" :

- قد يزداد شعورك بان في الأمر معجزة إذا قلت لك إنه لم يصعد إلى قمة البرج صعودا . بل هبط عليه هبوطا من اعلى إلى اسفل .

فقال " كازيفون " وهو لايزال يضحك ملء شدقيه :

-إذن فقد قذفت به العناية الإلهية من حالق فسقط فوق البرج .

- إن المصادفات تخلق المعجزات في بعض الأحيان يا مسيو كازيفون " فلا معنى إذن للهزء والسخرية .

- لا افهم ماتعني .. ولا اعلم ان هناك اية طريقة للوصول إلى البرج من اعلى ..

- بل توجد طريقة واحدة علي الأقل ياسيدي .. توجد المناطيد ولعلك تذكر ان احد المناطيد الطليقة قد حلق فوق هذه المنطقة في الليلة السابقة لليوم الذي لقي فيه الكونت الشاب مصرعه . وقد سار هذا المنطاد من الشمال إلى الجنوب . والقى طائفة من الحقائب المليئة بالرمال على بعد خمسة عشر كيلو مترا شمال (جيريه) .. فلماذا لا نستنتج ان هذا المنطاد قد ادلى كذلك - باتفاق سابق - حبلا طويلا ، وأن طرف هذا الحبل قد علق

بغصن إحدى الأشجار وان الكونت "جان" قد اضطر إلى تحطيم غصن الشجرة ليخلص طرف الحبل . ثم تعلق بهذا الحبل وارتفع به المنطاد حتى اوصله إلى قمة البرج ؟

ستقول إنها مغامرة شاقة محفوفة بالأخطار ، ولكن شابا عرف بميوله الرياضية وجراته كالكونت "جان داليسكار ،" وله من التصميم لإنفاذ غرضه والوصول إلى غايته ماكان لهذا الكونت ، الا يحفل بالخطر الذي يستهدف له من جراء هذه المغامرة الخطيرة .

وهنا انقلبت سحنة " كازيفون " وغمغم :

- ثم ..

- ثم حدث ان شخصا كان يطل من هذه النافذة فراى الشاب التعس فقتله لساعته .

- آه .. بهذا تفسر الحادث إذن ؟

فلم يجب " رينين" بل استطرد :

- ثم اسرع الشخص الذي أطلق الرصاص فبحث عن الجثة ووجدها وفتش ثيابها باحثا عن ايصال استلام المبلغ وبعد ئذ تناول قطعة الحبل و اخفاها في مكان ما . او بالأحرى القاها في احد الآبار .

كانت التهمة صريحة حاسمة .. وقد اراد " كازيفون " ان يتخلص منها فثار فجاة ثورة الرجل المهان . وصاح :

- كفى .. كفى .. لا اريد ان اسمع هذه النظريات الخرقاء التي لا تقوم على اساس .. فاغرب عن وجهي ياهذا . انهب من هذا المكان وساقول للمفتش " بيشو" إنني طردتك .. كما يجب ان اطرد اي دعي نصاب مثلك يريد ان يحتال بوسائل التهديد .

فقال " رينين:" وهو يضحك :

- لو انني اردت إرهابك . والاحتيال عليك لما بدات باستعراض الأدلة .

فصاح " كازيفون " في غضب :

- الأدلة ؟ اين هي الأدلة ؟ وما هذه الأدلة ؟ كل ادلتك ثرثرة وكلام اجوف وإلا فابرز دليلا واحد . ابرز لي اي دليل يدعم اقوالك الخرقاء . هناك دليل واحد يفحمني ويثبت التهم التي توجهها إليّ وإلى ابي .. فابرز هذا الدليل إذا لم تكن مداعبا ثقيل الدعابة .

- وما هذا الدليل ؟

- إيصال الاستلام .. الإيصال الذي وقع عليه ابي بإمضائه .

- ها هو ذا الإيصال .

واخرج "رينين" من جيبه ورقة صفراء مطوية فبسطها بين اصابعه واستطرد :

- اليس هذا خط والدك . اليس هذا توقيعه ؟ ثم اصغ إلي اسمعك مضمونه - وراح يقرا في الإيصال ما يلي :

" انا الموقع علي هذا " اوجست كازيفون " اعترف بانني تسلمت من الكونت "داليسكار" مبلغ مائتي الف فرنك وهو المبلغ الذي اقرضته إياه في تاريخ سابق . بضمان قصره وممتلكاته وليس لي الآن اي حق في القصر والممتلكات " واستطرد البرنس " رينين" قائلا :

- وتاريخ هذا الصك هو ذات التاريخ الذي ذكره مسيو جريوم " وها هو ذا التوقيع ، فلا وجه إذن للطعن في صحة هذه الوثيقة ، ولابد انك كنت تعلم بامر هذه الوثيقة ياسيدي ، إما لأن والدك اعترف لك بالحقيقة ، وإما لأنك وقعت على هذه الحقيقة ضمن الأوراق والوثائق الخاصة التي خلفها ابوك .

فاكتشاف هذه الوثيقة يثبت على والدك جشعه وفساد ذمته ويحتم عليك الجلاء عن هذا القصر الذي اغتصبته اغتصابا . كما اغتصبه ابوك من قبل . لقد اقدم ابوك على الاحتيال طمعا في هذا القصر واقدمت انت على القتل طمعا في الاحتفاظ به .

- هذا كذب .. لو كنت انا القاتل لاستوليت على هذا الصك .

- إنك فتشت ثياب الشاب التعس بعد مصرعه . ولكنك لم تعثر

على الصك . لأن الكونت " داليسكار " كان شديد الحرص والحذر.

فشد الصك إلى حجر صغير . وقذف به من اعلى البرج . بامل البحث عنه والتقاطه بعد ان يهبط .. ولكنه قتل وهو يهبط ووجدت انا الصك مشدودا إلى الحجر على شاطىء القناة . وقبل ان يفرغ " رينين " من كلامه .. اتى " كازيفون " بحركة فجائية محاولا اختطاف الصك من يد " رينين " ، ولكن هذا شعر بغرضه. وتراجع إلى الوراء في الوقت المناسب.

وساد على الاثر صمت عميق . وكان الرجلان في خلاله يتبادلان نظرات:

- هذه الحركة التي بدرت منك هي اعتراف صريح . ودليل على ان الآنسة " إليزابيث داليسكار " كانت على حق ، حين قالت إنك رجل ذو نزعات عنيفة .. ولا شك ان إحدى هذه النزعات هي التي دفعتك منذ ايام إلى إطلاق الرصاص على ذلك الشاب التعس . والآن .. عليك ان تضبط نفسك وتسيطر على حواسك .. إنني اسمع طرقا بالباب .. واكبر الظن ان القادم هو " بيشو " .. مفتش البوليس ومن المؤكد ان مصلحتك تقتضي بالا يعلم هذا الرجل الحقيقة وساد الصمت مرة اخرى . وفجاة .. هتف " كازيفون " بلهجة المحموم :

- كم ؟؟ كم تطلب ثمنا لهذا الصك ؟!

- إنه ليس معروضا للبيع .

- هل تريد الاحتفاظ به ؟

- بل سارده إليك بشروط ؟

وما هي شروطك ؟

- ساطرحها عليك بحضور المفتش " بيشو " .

- وإذا رفضت قبولها ؟؟

- اوضح للمفتش " بيشو " كل شيء .

- إن مزاعمك لاقيمة لها .

- سوف ترى .

وشعر " كازيفون" في الحال انه امام خصم عنيد فاطرق براسه وسلم لخصمه بالغلبة .

واقبل " بيشو" في هذه اللحظة . وادهشه ان يرى " رينين" في القصر . سال نفسه ترى بماذا كان الرجلان يتحدثان ؟

ونظر إلى " رينين" في شيء من الريبة ، ثم شد على يد " كازيفون " وقال له :

- لقد وعدتك بان انبئك قبل رحيلي بنتيجة التحقيق الذي قمت به .. وهاانذا ابر بو عدي و اقول لك إن رايي في الحادث لا يختلف عن الراي الذي كان معروفا حتى الآن .. وهو ان الكونت الشاب لقي مصرعه قضاء وقدرا .

اما الإشاعات التي تذيعها الآنسة " داليسكار" فإنها لا اساس لها من الصحة ...

فهز " رينين" راسه موافقا :

- هذا صحيح .. وذلك هو رايي شخصيا .وقد افصحت عنه لمسيو كازيفون". ولكن الرجل كان على جانب عظيم من سعة الصدر . فابى إلا ان يقابل الوشايات والإشاعات الكاذبة بالكرم . وقرر ان يقطع السنة السوء بالتنازل للآنسة "داليسكار " عن هذا القصر . وعن جميع ممتلكات ذويها .

فدهش "بيشو" وغمغم : يا لله ! اهذا .. ممكن .. ؟

فقال " رينين " :

- و لم لا ؟ وفضلا عن ذلك فإن هذه الحوادث ، وهذه الإشاعات قد اوغرت صدر مسيو " كازيفون" على اهل هذه الناحية .. ولذلك قرر ان يبرحها إلى الأبد ، و سيبتاع قصرا فخما بالقرب من المصانع الكبيرة التي يمتلكها في (جيريه) ..

وعندما جئت الآن لزيارة مسيو " كازيفون " وتوديعه بمناسبة سفري ، وجدته بسبيل كتابة صك التنازل . وقد عبر لي عن عزمه

على ان يهب الآنسة " داليسكار" فضلا عن ذلك كله تحويلا ماليا بمبلغ مائتي الف فرنك .. لتكون لها بمثابة بائنة (دوطة). اليس كذلك يامسيو كازيفون؟ فلم يتردد "كازيفون" لحظة واجاب على الفور . وعلى شفتيه ابتسامة مصطنعة :

- بلى . بلى .

وجلس امام مكتبه . وكتب صيغة الهبة والتحويل المالي وقدمهما إلى "رينين" وهو يقول :

- إليك التحويل وهو يدفع لحامله . وإليك صك التنازل . وساصدر اوامري إلى مسجل العقود لاتخاذ الإجراءات اللازمة . فتناول " رينين" الوثيقتين .. ووضعهما في غلاف . والصق الغلاف .. وقدمه إلى" بيشو" وهو يقول :

- خذ ياسيدي . اذهب بهذا إلى الآنسة "داليسكار" و انا واثق انها ستقدر كرم مسيو " كازيفون " وسخاءه احييك يا مسيو كازيفون" اطيب تحية. واكبر فيك السخاء وسعة الصدر. وخرج وتبعه " بيشو " وهو لايكاد يفهم شيئا مما وقع تحت بصره وسمعه ولما اصبحا في الحديقة .. التفت " بيشو "إلى " رينين" وساله :

- ماذا ؟ هل هو الذي اطلق الرصاص ؟ هل اعترف بجريمته؟

- لا تتعب نفسك في التفكير في هذا الحادث يا مسيو بيشو"..لقد سويت المسالة على خير الوجوه وبما يرضي الطرفين . فلا تلق علي شيئا من الاسئلة . لانني لن اجيبك عن شيء . اذهب بهذا الغلاف إلى الآنسة " داليسكار" ثم الحق بي في المطعم .

ولحق به " بيشو " بعد ربع الساعة و انباه بان الآنسة " داليسكار" قبلت هبة القصر ولكنها رفضت التحويل المالي . بل ومزقته شر ممزق . وداست قطعه بقدميها . ووصل " رينين" و" بيشو" إلى باريس في سيارة الاول . وحاول الثاني عبثا ان يحمل " رينين"

على الكلام . بلغا باريس في الساعة التاسعة ودعا " رينين" " بيشو" لتناول طعام العشاء معه في احد المطاعم ولكنهما ما كادا يدخلان المطعم حتى استاذن " بيشو" صاحبه في ان يتصل تليفونيا بمسيو "كازيفون" . لينبئه بان الآنسة "داليسكار" قد مزقت التحويل المالي . وقصد "بيشو" إلى حيث يوجد التليفون . ولكنه بدلا من ان يتصل بمسيو " كازيفون " طلب هو الاتصال بمسيو بينيه " مدير الأمن العام :

- الو. الو . مسيو " بينيه " .. انا " بيشو" .. يتناول طعام العشاء معي الآن في مطعم (تروكاديرو) رجل اعتقد انه ارسين..لوبين " ارسلوا قوة في الحال لمحاصرة المطعم .. آلو .

* * *

وعاد " بيشو" إلى مائدة الطعام وهو يفرك كفيه بارتياح . ولكنه لم يكد يرسل بصره إلى حيث كان "رينين" جالسا حتى جمد في مكانه .. ذلك انه لم يجدله اثرا . اجال الطرف حوله في انحاء المطعم ولكن بغير جدوى... فقد اختفى البرنس "رينين" .. كانما انشقت الارض وابتلعته . ووقع بصره فوق مائدة الطعام على قصاصة من الورق فتناولها بلهفة .. وقرا فيها ما يلي .

" لا تتعب نفسك يا عزيزي " بيشو" .. ولا تزعج رجال البوليس .. اما التحويل المالي الذي مزقته الآنسة " داليسكار" فإنه لا قيمة له .. لانه تحويل قديم استبدلته بالتحويل الجديد لانني كنت اعلم سلفا ان الآنسة "داليسكار" ستمزقه احتقارا لصاحبه " .

" اما التحويل الجديد - وهو يصرف لحامله - فلا بد انك تعرف الآن مقره .

صديقك البرنس .. " ارسين لوبين "

تمت بحمد الله